حلقة لافكرافت

LOVECRAFT'S CIRCLE

ترجمات

د. أحمد تركي حلمي مطر

دار الرسم بالكلمات

ضفائر
t.me/twinkling4

جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضَاد، الإلكترونية.©

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب

t.me/twinkling4

حلقة لافكرافت الجهنمية

ستتعرف في هذه المجموعة القصصية المُترابطة على أثر لافكرافت، وتداخل أفكاره مع زملاءه المؤلفين ليُشكلوا حلقتهم المخيفة والتي ستُصبح نواة كل أشكال الرعب الكوني المُعاصر، سترى الدخيل وهو يُناقش غرابة لافكرافت من برجه العالي، وكلاب تِندالوس الآتية من أبعاد لا يتخيلها عقل، وهُناك في المجر سنقرأ عن مُعاناة العثمانيين في مواجهة ثاسوجوا والحجر الأسود، أما الويندیجو فسنكتشف أن اسمه الحقيقي هو: الذي سار على الريح، وبالنسبة لأوبو-سائلا، فحقيقته مكتوبة على الألواح القديمة قدم العالم نفسه، لا في مفكرة الطفل التي وجدناها في منزلٍ مهجور وترجمناها لكم هنا لنُعرفكم على الشوجوث، والطقوس الشنيعة، والطوائف التي تنتظر عودة كتولو ورفاقه.

تمهيد

ستلتقون أثناء قراءة أعمال هوارد فيليبس لافكرافت المعروف بأبو الرعب الكوني، بمجموعة من الأسماء التي تُشكل حلقة الكُتاب المعروفة بحلقة لافكرافت، وتتكون الحلقة من ستة مؤلفين؛ روبرت بلوخ (1917-1994)، وأوجست ديرليث (1909-1971)، وروبرت إرفين هوارد (1906-1936)، وفرانك بيلناب لونج (1901-1994)، وكلارك أشتون سميث (1893-1961)، وهوارد فيليبس لافكرافت (1890-1937)، وستتسائل بالطبع عن هؤلاء الكُتاب وكيف ترتبط كتاباتهم بلافكرافت.

لافكرافت كان مغموراً في حياته ولا يعرفه الكثير من القراء رغم ظهور قصصه في مجلات معروفة نسبياً وأشهرها حكايا غريبة، لكنه تبادل الرسائل بانتظام مع كُتاب مُعاصرين منهم كلارك أشتون سميث وأوجست ديريليث وتطورت رسائلهم إلى صداقة فيما بعض رغم أنه لم يقابلهم أبدًا، وفي 1930 أرسل روبرت إي هوارد خطاباً لمجلة حكايا غريبة يُثني فيه على قصة لافكرافت (الفئران في الجُدران)، فأرسلها المُحرر إلى لافكرافت فأسعده وقرر الرد على هوارد، ومن حينها تبادلا رسائل مُكثفة طوال المدة القصيرة التي عاشها هوارد.

هذه المجموعة الصغيرة اتسعت مع الوقت لتشمل المزيد

من المؤلفين وتتحول إلى (حلقة لافكرافت)، والسبب ببساطة هو أن معظم عناصر القصص التي كتبها أعضاء الحلقة مُقتبسة من تخيلات وثيمات لافكرافت، وهو بدوره اقتبس منهم العديد من العناصر الصالحة للاندماج في عالم أساطير كتولو، وقد دعم لافكرافت أفراد المجموعة وعرفهم على بعضهم خاصةً وأن اهتماماتهم الكتابية مُتقاربة، وشجعهم على تبادل الأفكار والاشتراك في استخدام العناصر المُبتكرة وبهذا يساعدون بعضهم في النجاح في مجالهم الأدبي والخيالي.

وبعد وفاة لافكرافت في 1937 أسس أوجست ديرليث دار أركام للنشر بالاشتراك مع المؤلف دونالد واندري وبغرض أساسي هو الحافظ على إرث لافكرافت الأدبي والاستمرار في طبعه ورقيًا بعدما فشلا في العثور على ناشر يقبل بتلك المهمة، وقد أضاف الكثير إلى أعمال لافكرافت ومنها أعمال مُناقضة لأفكاره، فلافكرافت اعتبر مجمع الألهة الفضائيين مُجرد مُحرك لحبكاته وأحداثه، لكن أوجست اختلق علم فضاء كامل وحرب بين ألهة قديمة طيبة وأخرى شريرة أتت من الفضاء مثل كتولو ذاته، وبانتصار الخير حُبس لافكرافت ورفاقه تحت الأرض وفي أعماق المُحيطات، كما يحكي لنا نيل جايمان في قصته الساخرة الشهيرة (أنا، كتولو).

ومن أمثلة التداخل بين أعمال الكُتاب الستة، أن فريدريتش فون يونزت وهي شخصية اختلقها روبرت

هوارد ذُكرت في قصته (أبناء الليل) وهو يقرأ كتاب العزيف المعروف، وهو كتاب من اختلاق لافكرافت وليس حقيقيًا كما يُشاع عنه في بعض الأوساط، وبدوره ذكر لافكرافت وجود كتاب (طوائف لا اسم لها) في بعض أعماله ومنها الظل خارج الزمان التي ترجمتها سابقًا، وفي مثالٍ أخر كتب روبرت بلوخ قصة (المُترنح الآتِ من النجوم) يذكر فيها شخصية مؤلف قريبة الشبه للافكرافت، وتموت ميتة شنيعة بعد قراءته لكتاب أسرار الديدان، وبدوره كتب لافكرافت قصة كجزء ثانٍ وسماها (الساكن في الظلام) يقتل فيها مؤلفًا اسماه روبرت بليك، وبعد فترة كتب بلوخ قصة ثالثة عنونها ب(الظل من برج الكنيسة) تربط القصتين بقصيدة لافكرافتية طويلة اسمها فطريات يوجوث.

عرفت عن حلقة المؤلفين المرعبة هذه بصُدفة قدرية، إذ كُنت أبحث عن قصص لافكرافتية صوتية لمؤلفين قرروا أن يُساهموا في إنعاش أساطير كتولو، فوجدت قائمة تشغيل في قناة Horrorbabble وفيها 13 قصة مُختارة وكلهم ينتمون لفئة المشاع العام، عرفت من هنا مؤلفي القصص الموجودة بين دفتي هذا الكتاب.

اخترنا هذه القصص الستة حسب ذائقتنا الخاصة، وبما يتناسب مع الهدف من الكتاب وهو التعريف بمجهودات لافكرافت ورفاقه في تحويل أدب الرعب من القوطية الغربية النمطية إلى الخوف من مجهولات لا يعرف عنها

البشر الكثير رغم اتساع رقعات معارفهم واستكشافاتهم وعلومهم.

هُناك العديد من الكُتّاب المُنضمين تحت لواء حلقة لافكرافت والمُشاركين في كتابة قصص عن أساطير كتولو لكن لم يحظوا بفرصة اللحاق لهذا الكتاب ومنهم هنري كتنر (1915-1958) وزوجته سي ال موور (1911-1987) وفريتز ليبر (1919-1992).

المُترجمان

الدخيل

قصة لهوارد فيليبس لافكرافت

ترجمة: د. أحمد تركي

كُتبت عام 1921

ونُشرت في مجلة حكايات غريبة عدد أبريل 1926

في تلك الليلة، حلم البارون بويلاتٍ عديدة.

وكل ضيوفه المحاربين، بظلالهم وأشكالهم

حلم بساحرة، وشيطان، ودودة تابوتٍ كبيرة،

كابوسٌ راوده كثيرًا.

- من قصيدة (عشية القديسة أجنس) لجون كيتس.

تعيسٌ هو، من لا تعود عليه ذكريات طفولته سوى بالخوف والحزن.

شقيٌ هو، من ينظر إلى ساعات وحدته في غرف واسعة كئيبة، تتعلق في سقفها أشياء بُنية اللون وصفوف من كُتبٍ عتيقة تُصيب العقول بالجنون، أو ينظر إلى حُراسٍ مُرعبين قابعين بين بساتين من أشجارِ بشعة عملاقة ومُثقلة بثمار الكروم، تتمايل أغصانها المتشابكة لأعلى مما يُمكنني رؤيته.

لقد منحتني الآلهة الكثير، منحت ذاتي الذهول وخيبة الأمل، وتبلد العقل والانكسار، لكني ومع ذلك راضٍ بشكلٍ غريب، ومُتمسك بشدة بتلك الذكريات الذابلة، خاصةً حينما يهددني ذهني في بعض اللحظات بالتعدي لوصول لما هو أبعد مما أعيشه.

لا أعرف أين وُلدت بالضبط، باستثناء أنها قلعة قديمة إلى ما لا نهاية، ورهيبة لأبعد ما يُمكن وصفه، تمتلئ بالممرات المظلمة والأسقف العالية المُتشددة بخيوط العنكبوت والظلال، هُناك حجارة رطبة وبشعة في الممرات المُتهالكة، وهناك رائحة كريهة في كل مكان، كأنها جُثث أجيال عديدة مُتكدسة في مكانٍ قريب، لا يدخل الضوء أبدًا، لذا اعتدت على إضاءة الشموع أحيانًا والنظر إليها بثبات لأنعم ببعض الراحة، ولا يصل ضوء الشمس إلى الساحات بالخارج لأن الأشجار الرهيبة نمت وارتفعت حتى غطت أعلى برج يُمكن الوصول إليه، هُناك برج أسود

واحد تخطى ارتفاعه طول الأشجار عالية الارتفاع ووصل إلى السماء الخارجية المجهولة، لكنه مُدمرٌ جزئيًا ويستحيل تسلقه حجرًا تلو حجر تقريبًا لتعامُده الشديد مع الأرض.

لا بد أنني عشتُ سنواتٍ طويلة في هذا المكان، لكن لا يمكنني قياس المدة بالضبط، ولا بد أن كائناتٍ ما قد اهتمت باحتياجاتي، ولكني لا أتذكر أي شخصٍ غيري، ولا أي شيء حي سوى الفئران والخفافيش والعناكب الصامتة، أظن أن الشخص الذي أرضعني كان كبير السن بشكلٍ صادم، وسبب ظني هذا هو أن تصوري الذهني الأولي لشخص حي هو لشخصٍ يُشبهني بكل استهزاء، لكنه مُشوه وذابل، ومُتحلل مثل القلعة نفسها.

بالنسبة لي، لم أجد أي بشاعة في وجود العظام والهياكل العظمية المنثورة في بعض الأقبية الحجرية العميقة بين وبالقرب من أساسات القلعة، تلك الأشياء ارتبطت بأحداثي اليومية برابطٍ خيالي جميل، وأعتقد أنها طبيعية أكثر من صور الكائنات الحية الملونة التي وجدتها في العديد من الكُتب المُتعفنة، ومن هذه الكتب تعلمت كل ما أعرفه، لم يوجهني أي مُعلم أو يحثني على التعلم، ولا أتذكر أنني سمعت صوت بشري بمرور كل تلك السنوات، ولا حتى صوتي نفسه؛ وبرغم أني قرأت الكُتب إلا أنني لم أفكر مُطلقًا في محاولة التحدث بصوت عالٍ، لا أعرف كذلك عن شكلي شيئًا لأن القلعة ليس بها مرايا، فاعتبرت نفسي بتفكيري الفطري أقرب شكلًا إلى

الشخصيات الشابة المرسومة والملونة في الكتب.

شعرت أني شاب، وأن وعيي شاب، لأنني لا أتذكر سوى القليل.

وفي الخارج، وعبر الخندق المائي الآسن المُحيط بالقلعة وتحت الأشجار المُظلمة الصامتة، كنت أرقد وأحلم لساعات بما قرأته في الكتب؛ فعلت ذلك في أحيانٍ كثيرة، أتخيل نفسي وسط حشودٍ من المبتهجين في عالمٍ مُشمسٍ وراء غابات لا نهاية لها.

حاولت ذات مرة الهرب من الغابة، ولكن كلما ابتعدت عن القلعة ازدادت كثافة الظل فيُسيطر الخوف على الهواء، فأعود مُتقهقراً محمومًا لئلا أضل طريقي وسط متاهة من الصمت الليلي.

يمر الشفق بعدد مراتٍ لا مُتناهية وأنا أحلم وأنتظر، رغم أنني لا أعرف ما أنتظره، ثم في عُزلتي الغامضة الظليلة اشتقت للضوء بجنونٍ لدرجة أنني لم أستطع الراحة، ورفعت أيادٍ متوسلة إلى البُرج الأسود المدمر الذي اخترق الغابة إلى السماء الخارجية المجهولة، وفي النهاية قررت قياس نطاق وطول هذا البرج رغم احتمالية سقوطي، إذ من الأفضل أن ألمح السماء للحظة ثم أهلك من أن أعيش دون رؤية يومٍ حقيقي.

وفي ساعة الشفق الرطب صعدت السلالم الحجرية البالية والعتيقة حتى المستوى الذي نتوقف فيه، بعدها تشبثت

بمواطئ أقدامٍ صغيرة تؤدي لأعلى، وفي هذا الفعل خطورة داهمة، تلك الأسطوانة الصخرية الميتة التي لا تحتوي على درجات سُلم لا توصف بأقل من أنها رهيبة ومخيفة، وسوداء ومهجورة، ومُدمرة تسكنها خفافيش مذهولة لأنها لا تُصدر أي ضوضاء، لكن الأكثر ترويعًا وفظاعة هو تقدمي البطيء.

أتسلقُ بقدر ما أستطيع، والظلام فوق رأسي لا يتبدد أبدًا، هاجمتني قشعريرة جديدة وكأنه عفنًا مسكونًا يغزو جسدي، ارتجفت وأنا أتساءل: لماذا لم أصل إلى النور؟ لن أنظر إلى الأسفل ولو تجرأت، تخيلتُ أن الليل حل عليّ فجأة، فتلمست بعبثية وبيدٍ واحدة حُرة طريقًا للإمساكِ بنافذة، حتى أتمكن من النظر إلى الخارج وإلى ما هو فوق، وأحاول الحكم على الارتفاع الذي وصلت إليه.

وبعد عدد لا نهائي من الخطوات الصاعدة الرهيبة، وبلا رؤية واضحة زاحفًا إلى ما فوق تلك الهاوية المُقعرة اليائسة، اصطدمت رأسي بشيءٍ صلبٍ، وعرفت أني عند السقف.

رفعت يدي الحرة وسط الظلام واختبرت الحاجز، وجدته حجريًا راسخًا لا يتحرك، ثم أمسكت بحلقة مُثبتة في جدار البرج، تشبث بها بكل قوتي لدرجة أني شعرت بلزوجة غريبة في الجدار، واكتشفت أنه حاجز من نوعٍ ما يتحرك ويرتفع لأعلى لكن لا يسقط، فثبتُ قدميَ في مواضع مُحددة وكذا تمسكت يدي الأخرى بحجرٍ ثابت غير زلق إلى الدرجة التي تؤذيني، وبيدي الحرة ورأسي دفعت

اللوح أو الباب.

لم أرَ ضوءً بالأعلى، تسلقت لأتأكد أني فوق سقف القلعة فعلًا؛ واتضح لي أن اللوح بالأسفل هو باب سحري لفتحة تؤدي إلى سطح حجري مستوٍ، محيطه أكبر من البُرج السفلي، ولا شك لدي أنها أرضية غُرفة مراقبة عالية وواسعة، زحفت خارجًا ثم حاولت منع اللوح الثقيل من السقوط في مكانه لكنني فشلت لثقله الشديد، وبينما أتسلق الأرضية الحجرية سمعت أصداء سقوطه المخيفة، وتمنيت أن أستطيع رفعه إن احتجت مرة أخرى.

اعتقد الآن أني فوق ارتفاعٍ استثنائي عن سطح الأرض وبعيدٌ عن أغصان الخشب الملعونة، سحبت نفسي لأقوم وأخذت أتخبط بحثًا عن النوافذ حتى أتمكن من رؤية السماء لأول مرة، والقمر والنجوم الذين قرأت عنهم، لكنني آمالي خابت من كل النواحي، فكل ما وجدته هو أرفف واسعة من الرخام تحمل صناديق مُستطيلة ذات حجمٍ كريه مُزعج، تساءلت عن ماهية الأسرار العتيقة التي قد تكون في هذه الشقة العالية التي انقطعت عن القلعة بالأسفل للعديد من الدهور، ثم أمسكت يدي بمقبض مدخل الشقة دون أن أتوقع، كانت بوابة حجرية خشنة عليها نقشٌ غريب.

حاولت فتح الباب فلم أنجح في البدء؛ مارست عليها قوة هائلة فتغلبت على عقبته وسحبته إلى الداخل، وإذ أنا كذلك شعرت بأنقى نشوة في حياتي على الإطلاق؛ إذ

تخلل ضوء قمرٌ كامل وهادئ، ومُشرق ومُشع كالشمس، شبكة من الحديد المُزخرف، ليُريني ممرًا حجريًا قصيرًا بالأسفل وأخر يصعد بدرجاته لأعلى، هذا القمر الذي لم أره من قبل إلا في الأحلام، وفي الرؤى الغامضة التي لا أجرؤ على تسميتها بالذكريات .

تخيلت الآن أنني في قمة القلعة، فتسرعت في مُحاولة صعود الدرجات القليلة وراء الباب؛ لكن احتجاب القمر فجأة خلف السحابة جعلني أتعثر وأمشي ببطء، هكذا عُدت لأفعل بسبب الظلام، وظل الأمر هكذا حتى وصولي إلى حاجزٍ جديد، فحاولت معه ببطء وعناية لأجده مفتوحًا، لكنني لم أفتحه خوفًا من السقوط من الارتفاع المذهل الذي صعدت إليه وأنا لا أرى شيئًا مما حولي. ثم خرج القمر من احتجابه.

أكثر الصدمات شيطانية هي تلك غير المُتوقعة وغير القابلة للتصديق، لا شيء مما مررت به من قبل في حياتي يُمكن مقارنته بالرعب الذي أراه الآن؛ كان مشهدًا بسيطًا في ذاته، مُذهلاً في مُجمله؛ فبدلًا من قمم الأشجار الشاهقة والتي توقعت أن أراها بالأسفل من موقعي المُرتفع المُثير للدوار، امتدت حولي وعلى نفس مستوى وقوفي وخلف الحاجز ذي القُضبان المعدنية أرضٌ صلبة، مُزخرفة ببلاطٍ وأعمدةٍ رُخامية متنوعة الألوان، تمنع عنها نور القمر كنيسة حجرية عظيمة وقديمة، يتلألأ برجها المُنهار كطيفٍ في ضوء القمر.

كُنت شبه فاقدٍ لوعيي وتركيزي، فتحت الحاجز وخرجت أمشي بترنح على ممشى من حصى أبيض يمتد إلى اتجاهين متقابلين، ذهني مذهول، ومغمور بالفوضى كعادته، ولا يزال يشتهي الضوء بشدة، ولن يقف شيء ويمنعني عن مساري حتى الأعجوبة الرائعة التي أراها، لا أعرف ولا أهتم إذا كانت تجربتي جنونًا أو حُلمًا أو سحرًا، لكني صممت على التحديق في التألق والبهجة المُحيطة بأي ثمن، لا أعرف من أنا أو ما أنا عليه، أو ما هي حقيقة ما يُحيط بي؛ لكن مع مواصلة سيري وتعثري المُستمر أدركت وجود ذكرياتٍ كامنة مُخيفة جعلتني أعتقد أن رحلتي ليست صُدفة.

خرجت من تلك المنطقة ذات الأرضية والأعمدة الرخامية، بوابة المكان على هيئة قوسٍ عظيم الارتفاع، وبالخراج رأيت ريفًا واسعًا فقررت التجول فيه؛ تبعت الطريق المرئي أحيانًا وفي أحيانٍ أخرى فضلت السير عبر المروج حيث رأيتُ أنقاضًا قليلةً تُثبِتُ وجود طريقٍ قديمٍ ومنسي هنا، وعبرت نهرًا ضحلةً مياهه سريعة السريان، تلاشت عنده الأحجار الطُحلبية المُنهارة منذ فترة طويلة.

مرت ساعتان أو أكثر قبل أن أصل إلى قلعة مهيبة مكسوة بنباتات اللبلاب وسط حديقة كثيفة الأشجار، وهي مألوفة لي بشكلٍ كاد يُثير جنوني، تكسوها غرابة مُحيرة، رأيت الخندق المُحيط بها مُمتلئ بالمياه، والأبراج الطويلة مهدومة بدورها كحال كُلِ الأبراج هنا، لكن ما

لاحظته باهتمامٍ وفرحة هو النوافذ المفتوحة، والأنوار التي تشتعل مُنبعثة منها، مُرسلة أصوات احتفالات مُبهجة شبحية.

تقدمت إلى إحدى النوافذ ونظرت فيها، ورأيت مجموعة من أُناسٍ يرتدون ملابسًا غريبة للغاية، كانوا مرحين، ويتحدثون ووجوههم مُشرقة إلى بعضهم البعض، لم أسمع كلامًا بشريًا من قبل طوال حياتي، وبالتالي لم أستطع تخمين معنى ما يقولون على وجه الدقة، بعض الوجوه تحمل تعبيرات أثارت ذكريات بعيدة كامنة بداخل عقلي، بينما البعض الآخر غريبٌ بالكامل عن ذاكرتي ومعرفتي.

والآن، عبرت النافذة المُنخفضة ودخلتُ إلى الغُرفة المُضاءة، وتوغلت فيها ببطء، خطوة تلو خطوة، أتردد بين لحظة أمل مُشرقة تليها لحظة من أشد نوبات اليأس سوادًا.

وسرعان ما أدركت تحقق الكابوس. ففور دخولي وعبوري عتبة الغرفة حدثت واحدة من أكثر المُظاهرات المُرعبة التي تصورت حدوثها، هبط على الناس بالداخل خوفٌ مُفاجئ مُنفر شديد البشاعة، التوّت وتشنجت وجوههم واستحضروا أفظع الصرخات من حلقِ كلٍ منهم، كان هروبهم كونيًا، سقط العديدون منهم وسط الصخب والذعر فاقديّ الوعي فسحبهم رفاقهم الهاربون بجنون، غطى الكثيرون أعينهم بأيديهم وانغمسوا بعمى وإرباك في سباقٍ للهرب، تعثروا في الأثاث وتخبطوا في

الجُدران قبل أن يتمكنوا من الوصول إلى أحد الأبواب العديدة.

كانت صيحاتهم صادمة روعت قلبي، وقفت في الشقة المُتلألئة بمفردي وأنا مذهول، أُنصِتُ إلى أصداءهم المُتلاشية، ارتجفت من فكرة ما قد يكمُن بالقُرب مني وأنا لا أراه، فتشت المكان ببطء وأنا لا أعرف عما أبحث، بدت الغرفة مهجورة بالكامل، هُناك تجويف في أحد الأركان فاقتربت منه لأفحصه، ظننت أنني سأكتشف وجود شيءٍ هُناك، وأظن أنه تحرك بخفة إلى ما وراء المدخل المُقوس الذهبي المؤدي إلى غرفة أخرى مُماثلة إلى حد ما للغرفة التي أقف فيها، وعندما اقتربت من القوس أدركت أن الشيء موجود وبوضوح أكثر؛ ثم انطلق مني أول وأخر صوت على الإطلاق، ولولة مريعة وصراخ بغيض أثارا تقززي مثلما تقززت من سببهما، ، رأيت في وضوحٍ كاملٍ وحشية لا يمكن تخيُلها، ولا يُمكن وصفها، ولا يُمكن ذكرها، وحشية حولت بمظهرها البسيط مجموعةٍ مرحةٍ من الناس إلى قطيعٍ من الهاربين المهلوسين.

لا أستطيع مجرد التلميح إلى ما كان عليه، لأنه كان مزيجًا من كل ما هو نجس، وخارق للطبيعة، وغير مُرحبٍ به، وشاذٍ، ومكروه، كان ظلًا لغول من عصور الانحلال والاندثار القديمة، شبحٌ عفن تتساقط منه إفشاءات كريهة، انكشاف غاية في الشناعة لما يجب أن تُخفيه الأرض الرحيمة بنا دائمًا، يعلم الرب أنه لا ينتمي

بهذا العالم، أو أنه لم يعُد ينتمي لهذا العالم، ومع ذلك رأيت في خطوطه العريضة وعظامه المُتآكلة صورة بغيضة اتخذت شكل بشري؛ وفي أرديته المُتعفنة المُتحللة أوصاف جعلت البرودة تُسيطر عليّ.

كنت مشلولًا بنسبة كبيرة، لكن ليس إلى درجة أن أبذل ولو جهدٍ قليلٍ للهرب؛ تعثرت للخلف لكن فشلت في كسر التعويذة التي يأسُرني بها الوحش الذي لا صوت ولا اسم له، سُحرت عيناي بالأجرام السماوية الزجاجية البغيضة التي تُحدق فيّ وترفض أن تُطلق سراحي؛ ومن رحمة الرب أن ضبابًا يكسوهم وإلا أسرني تأثيرهم السحري للأبد، وبهذا أظهروا الشيء الرهيب لي لكن بغير وضوح بعد الصدمة الأولى، حاولت أن أرفع يدي لأُعمي بصري، لكن الذهول منع ذراعيّ من إطاعة إرادتي، وإن زعزت المحاولة توازني بما فيه الكفاية، لذلك اضطررت إلى التقدم عدة خطوات لتفادي السقوط إلى الخلف، وأثناء قيامي بذلك أدركت فجأة أن الجيفة أو ذاك الشيء الشنيع قريبٌ مني، وتخيلت أني أسمع تنفسه الأجوف، كدتُ أُجن، ثم وجدت نفسي قادرًا على التخلص من يد حراسة وأسر النتانة التي تقترب بشدة؛ ثم وفي ثانية كارثية واحدة من الكوابيس الكونية والحوادث الجهنمية، لمست أصابعي كف الوحش المُتعفن تحت القوس الذهبي.

لم أزعق أو أصرخ، لكن كل الغيلان الشيطانية التي تركب رياح الليل صرخت من أجلي، وفي ذات تلك

الثانية تحطمت فوق ذهني ذكرى عابرة، انهارت فكادت تُدمر روحي، عرفت في تلك الثانية كل ما كان؛ تذكرت ما وراء القلعة والأشجار، وعرفت الصرح المُتبدل الذي أقف فيه الآن؛ وأدركت حقيقة الأمر الأكثر فظاعة على الإطلاق؛ وهو الرجس الذي يقف أمامي بينما أسحب أصابعي المُلطخة بأصابعه.

يوجد في الكون بلسم كما توجد مرارة، وهذا البلسم هو النيبينثي، عقار النسيان اليوناني، وفي لحظة الرعب القصوى في تلك الثانية، نسيت ما أرعبني، واختفى انفجار الذاكرة السوداء وسط فوضى من الصُور المُكررة المتكررة في عقلي، وفي حلمي هربت من تلك الكومة المسكونة الملعونة، وركضت بسرعة مُسترشدًا بضوء القمر، وعندما عدت إلى باحة الكنيسة وجدت الباب الحجري لا يتحرك؛ لكن هذا لم يعنيني، لأنني كرهت القلعة العتيقة والأشجار، فالآن أركب مع الغيلان الساخرة الودودة رياح الليل، وألعب نهارًا بين سراديب الموتى في مقبرة نيفرين-كع في وادي هادوث المُغلق وغير المعروف على ضفاف النيل، أعلم أن الضوء لم يُخلق لي، باستثناء ضوء القمر فوق مقابر نيب الصخرية، ولم يُخلق الابتهاج لي إلا في أعياد نيكتوريس تحت سفح الهرم الأكبر؛ لكن في خضم همجيتي الجديدة وحُريتي، أرحب بمرارة الاغتراب.

على الرغم من أن النيبينثي قد هدأني، فأنا أعلم دائمًا أنني دخيل؛ غريب في هذا القرن وبين أولئك الذين ما زالوا

بشرًا، عرفت هذا منذ أن مددت أصابعي إلى الرجس داخل ذلك الإطار المُقوس الذهبي العظيم؛ لأني مددت أصابعي ولمس سطحًا زجاجيًا مصقولًا، وكان ثابتًا وباردًا.

عن غرابة لافكرافت

تحكي القصة عن شخص غريب عاش لوحده ولفترة طويلة جدًا لأبعد مما يُمكنه تذكره في قلعة مهجورة، وقراره بالخروج بحثًا عن الناس والضوء.

القصة تجمع بين الفانتازية والرعب والقوطية في إطار كابوسي مُخيف، وهي من أكثر قصص لافكرافت من حيث إعادة طباعتها ونشرها في ويبرد تيلز.

يقول لافكرافت في بعض خطاباته أنه كتب القصة ليُحاكي أسلوب سرد إدجار الآن بو، وبدايتها تتشابه قليلًا مع قصة بو (بيرينيس)، والرعب القوطي فيها يستدعي إلى الأذهان القصة الأشهر (قناع الموت الأحمر).

ويقول بعض النقاد أن نهاية القصة مستوحاة من قصة فرانكنشتايت لماري شيللي، حيث يُسبب المسخ صدمات للبشر حيت يروه، وكذا حين ينظر إلى نفسه في صفحة الماء ويرى انعكاسه لأول مرة، ويُشير كولن ويلسون في كتابه قوة الحلم إلى قصة لأوسكار وايلد فيها يرتعب قزم مُشوه حين يرى انعكاسه لأول مرة.

بعض الدارسين لأدب لافكرافت يعتبرون النص أفضل ما كتب لافكرافت، ويُشيرون لاحتمالية انتماء القصة للسير الذاتية، يعني أن لافكرافت يتحدث عن نفسه وحياته، خاصة حين يقول:

"أعلم دائمًا أنني دخيل؛ غريب في هذا القرن وبين أولئك الذين ما زالوا بشرًا".

ويُعرف عن لافكرافت تصنيفه لنفسه بالقباحة، كما أن أمه نعتته بذلك عدة مرات.

تتناول القصة ثيمات تتعلق بالوحدة والآنعزال والقباحة وتقدم سببًا مُخيفًا وسردًا منطقيًا من الناحية النفسية لسبب هذه العُزلة.

تُشير القصة إلى نيكتوريس؛ وهي أخر ملكات مصر القديمة وقد ظهرت في قصة للافكرات بالاشتراك مع هاري هوديني بعنوان (محبوس مع الفراعنة) ونُشرت عام 1924، ونيفرين-كع المذكور في قصة (الساكن في الظلام) بدور الفرعون الذي بنى المعبد للترابيزوهيدرون اللامع، فاستحق أن يُمحى اسمه من كل السجلات والآثار.

وعن تجربتي الشخصية مع النص، فقد شاهدت مقطعًا بالأبيض والأسود، ضعيف الإنتاج والإخراج وموجود على موقع يوتيوب، لكن طريقة سرد القصة صوتيًا أوحت لي بكوابيس كئابية عدة ومن هنا قررت قراءة النص الذي يفوق المقطع كابوسية، وكانت تجربة مُتميزة بكل تأكيد، القصة كئيبة وحزينة وفي نهايتها التواءة شهيرة لكنك لا تراها قادمة أبدًا، كما أني شخصيًا أُحب قراءة السرد على ألسنة الرواة غير الموثوق بكلامهم، لأنك

ستُضطر لقراءة النص عدة مراتٍ تالية لتستكشف أين زرع الكاتب بدهائه لحظات خداعه للقارئ.

كلاب صيد تِندالوس

قصة لفرانك بيلناب لونج

ترجمة: حلمي مطر

نُشرت لأول مرة في مجلة حكايات غريبة عدد مارس 1929، ونشرها بعد ذلك في مجموعة قصصية تحمل اسم كلاب صيد تِندالوس عام 1946، وتُعد أول قصة في أساطير كتولو لم يكتبها لافكرافت بنفسه.

(1)

- أنا سعيد لقدومك!

قالها (تشالمرز) وهو يقف بجوار النافذة بوجهٍ شاحب للغاية، شمعتان طويلتان أُذيبتا على مرفقيه وعكستا ضوءًا كهرمانيًا على أنفه الطويل وذقنه المنحسر.

لم يضع (تشالمرز) أي لمسات من الطراز الحديث في شقته، بل امتلك روح العصور الوسطى العتيقة؛ فضَّل المخطوطات المُضيئة على السيارات، وتماثيل الجورجويل الحجرية على الماكينات والمذياع، وبينما أعبر الغُرفة تجاه المقعد الفارغ الذي أشار إلي كي أجلس عليه، ألقيت نظرة خاطفة على مكتبه لأكتشف أنه يُطالع كتب عن الصيغ الرياضية لعالم فيزيائي مُعاصر مشهور ملأت رسوماته الهندسية الدقيقة أوراق الكتاب القديم الصفراء البالية.

- أينيشتاين و چون دي عشيقان غريبان.

قُلتها بسُخرية بينما تتجول عيناي في الخانات الحسابية ثم إلى الستين أو السبعين كتابًا الذين يملئون مكتبته؛ بلوتيناس و إيمانويل موسكوبولوس وسير توماس أكويناس وفرينكل دي بِيّي جنبًا إلى جنب في خِزانة الكُتُب الكئيبة المصنوعة من خشب الأبانوس، بينما امتلأت الكراسي والمكتب والمنضدة بمخطوطات عديدة عن السحر والشعوذة في العصور الوسطي، وكُل الأشياء الجذابة

السحرية التي نبذها العالم الحديث.

ابتسم (تشالمرز) بترحاب، وناولني سيجارة روسية الصُنع ومِطفأة منحوتة بشكلٍ مُبهرٍ، ثم بدأ كلامه:

- نحن في طور الاستكشاف الآن، الخيميائيون القدامى والسحرة كانوا بنسبة عظيمة على حق، وعلماء أحياء ومادة العصر الحديث الذين تمدحهم على خطأ.

فأجبته بنفاد صبرٍ:

- لطالما سمعتك تسخر من العلوم الحديثة.

- أسخر فقط من الدوغامئيين منهم، فاقديّ الدلائل والبراهين كما يدعون، لطالما كنت متمردًا، بطلٌ يحمي الأصالة والأسباب الغيبية المفقودة، لهذا السبب تنصلت من استنتاجات بعض العلماء المعاصرين.

فسألته بغتة:

- وماذا عن أينيشتاين؟

- هو كاهن الرياضيات المُتعاظمة، صوفي زاهد في علوم الغيبيات وما يُشبهها.

- إذًا فأنت لا تحتقر العلوم.

- بالطبع لا، أنا أشكك فقط في علماء أخر خمسين سنة الماضية، هيجل وداروين وبيرتراند راسل، وأعتقد أن علم الأحياء فشل فشلًا ذريعًا في تفسير لغز أصل الإنسان

ومصيره.

- أعطهم فرصة لبعض الوقت.

لمعت عينا تشالمرز، ثم قال:

- يا صديقي، ما قلته توًا يعكس سخرية رهيبة مما تعتقده، نويت منحهم فرصة لبعض الوقت لكن هل تُقدر علومك الحديثة الوقت من الأساس؟ لديهم المفتاح ولكنهم يعجزون عن استخدامه؛ أينيشتاين يعتقد أن الوقت نسبي ويمكن تفسيره بنظريات الفضاء والفضاء المُنحني، ولكن هل يجب أن نتوقف عند هذا الحد؟ عندما تفشل الرياضيات في شرح ما هو أسمى منها، فيجب علينا أن نمنح بصائرنا الفُرصة.

- أنت تفاوض على أرض خطرة، يجب عليك كباحث أن تتوقف حين يتطلب الأمر، العلوم الحديثة تتطور ببطء لأنها لا تقبل أي شيء لا يُمكن إثباته..

ففاجأني بقوله:

- سأُدخن الحشيش والأفيون، سأُحاكي حكماء الشرق فيما يستخدمونه للوصول حتى لو كلفني الأمر اعتقالي.

- ماذا تقول؟ أنت خرِف!

- البُعد الرابع!

- هذا هُراء ثيو-صوفي.

- ربما، لكني أعتقد أن المخدرات توسع من وعي الإنسان، (وليام چيمس) يتفق معي في تلك المسألة، ولقد اكتشف نوعًا جديدًا.

تساءلت:

- نوعٌ جديدٌ من المُخدرات؟

- عقار مُدهش، استخدمه الخيميائين الصينين ويُفترض أن الغرب لم يعلم عنه أي شيء، خصائصه غامضة ومُذهلة، ومع إمكانياته الرهيبة ومعرفتي الحسابية أعتقد أنني سأتمكن من السفر عبر الزمن.

تملك البله مني فقُلت:

- لا أفهم أي شيء!

- الوقت في مفهومنا ينقصه الكثير، فهو بالنسبة لنا تصور غير ناضج لبُعدٍ جديدٍ في الفضاء، الوقت والحركة كلاهما وهم، كل ما كان موجود في الماضي هو موجود الآن، أحداث الماضي تحدث مرة أخرى في بُعدٍ أخر من هذا الكون، وستحدُث مراتٍ أخرى بنفس ترتيبها في المستقبل ولكن في أبعاد أخرى، نحن فقط لا يمكننا إدراكها لعدم قدرتنا على اختراق الأبعاد الفضائية التي تحتويهم، أما البشر فهم مجرد كسور متناهية الصغر من الكيان الأكبر، والكُل الضخم، كل إنسان مُرتبط بأشكال الحياة السابقة على هذا الكوكب، وهو جزء من أسلافه وهم أساس وجوده، و الزمن وحده يفصل بينه وبينهم،

بينما الزمن نفسه وهم.. لا وجود له، إن استطعت فتح مدارك أفكارك لتعي ما أنا على وشك التوصل إليه ستخدم هدفي السامي للغاية، أطلب منك فقط استيعاب ما أنوي فعله، أتمنى أن أنزع عن عينيّ حجاب الأوهام الذي ألقاه عليهما الزمن، لأستبصر اليقين، وأرى البداية والنهاية.

- وهل تعتقد أن العقار الجديد سيُساعدك في تحقيق ما تتمنى؟

- مُتأكد، وأريدك أن تُساعدني، قررتُ أن أتناول العقار حالًا، لا أستطيع الانتظار أكثر من ذلك، يجب أن أرى.

وتلألأت عيناه بغرابة وهو يتحدث:

- سأرجع بالزمن، سأرجع بالزمن وأسافر إلى الماضي.

وقام وتوجه إلى الرف ثم التف ليواجهني حاملًا صندوقًا صغيرًا في يده:

- لدي بداخل الصندوق خمس حبات من العقار، استخدمه فيلسوف صيني يدعى (لاو-تزي)، وأثناء خضوعه لتأثيره استبصر التاو، وهى القوة الأكثر غموضًا في الكون كله، فهى تحيط بكل شيء وتنتشر في كل شيء، تحتوي على الكون المرئي وكل ما ندعوه بالحقيقة، وأشياء أخرى محجوبة عن بصائرنا، ومن يمتلك أسرار وقوى التاو سيتمكن من رؤية كل ما كان، وما سيكون.

قلتُ بحسم:

- هُراء، مجرد عبث.

- يُشبه التاو حيوانًا ضخمًا يجلس بلا حراك، يسبح داخل معدته كل معلومة عن عوالمنا وأكواننا، الماضي والحاضر والمستقبل، نرى فقط بعضٌ من عظمة ذلك الوحش الساكن من شقٍ صغيرٍ يُدعى الزمن، وبمُساعدة هذا العقار سأوسع ذلك الشق لأرى مجمل عظمة ما يسكن بداخل معدة ذلك الوحش العظيم، بل سأطلع على ما بداخله وخارجه.

سألته مُتعجبًا:

- وماذا تريدني أن أفعل؟

- راقبني فقط يا صغيري ودون ملاحظات، إن تعديت حدودي وذهبت لأبعد مما يُسمح لي، عليك أن تُعيدني مرة أخرى لأرض الواقع، اضربني أو هز جسدي بعنف على سبيل المثال إن بدا عليّ أي تغيرات جسدية أو استشعرت تعرضي لآلامٍ مبرحة، حينها يجب أن تُعيدني فورًا.

تنهدت وتوسلت إليه:

- تشالمرز، أرجوك لا تتطرق لتلك التجربة، أنت تسلك أودية مُظلمة حافلة بالمخاطر، لا أُصدق مثل تلك النظريات عن وجود أي أبعاد رابعة، ولا أصدق بشكلٍ قاطعٍ وجود تلك الـ(تاو)، لا.. لا أوافق أبدًا على تجربتك لذلك العقار الملعون مجهول المصدر.

- أعرف جيدًا خصائص العقار وتأثيره على البشر والحيوانات، ولا يقلقني أبدًا أن أتعاطاه، ما يُقلقني هو أن أضيع في الزمن، الدواء وحده لن يعمل إذا لم أوزع تركيزي على الرموز الهندسية والجبرية التي رسمتها على تلك الأوراق.

ثم رفع ورقة من الرزمة التي وضعها على ركبته وأردف:

- يجب أن أُعِدُ عقلي لتلك الرحلة القصيرة خلال الزمن، وأن أصل للبُعدِ الرابع بكامل وعيي قبلما أتناول العقار وأتمكن من ممارسة قوى الإدراك الخفية، وقبل أن أخترق عالم الأحلام الشرقي يجب أن أحصل على كل المساعدة الممكنة من علوم الرياضيات، فذلك النهج الواعي للعلوم الطبيعية سيستكمل آلية عمل الدواء الخارق للطبيعة وتنفتح الآفاقُ الجديدة، وحده التحليل الرياضي سيُمكنني من فهمها، البُعد الرابع حقيقي وأنا مُقتنع بوجوده؛ زارني في أحلامي ولامست خصائصه وغُصت في بحاره عاطفيًا وبديهيًا، لكني لم أستطع أبدًا أن أتذكر أي شيء بعد استيقاظي، تلك الرحلة ستُمكنني من ملامسة كُل شيء عن ذلك الكيان المقدس الذي لم أعش بداخله سوى بضع لحظات، لكن بمساعدتك سأتمكن بالتأكيد من تذكر كل شيء، أريدك أن تدون كل ما سأقوله أو أستشعره وأنا تحت تأثير العقار، بغض النظر عن مدى غرابة حديثي وعدم ترابطه، لا تتجاهل أي تفصيلة، وعندما أستيقظ، قد أكون قادرًا على توفير مفاتيح لكُل ما هو

غامض أو لا يُصدق، لستُ متأكدًا من نجاح التجربة، ولكن إن نجحت..

وازداد بريقُ عيناه بغرابة:

- لن يوجد ما يُسمى بالزمن بالنسبة لي.

ثم جلس على الأريكة فجأة وصاح:

- سأقوم بالتجربة الآن، أطلب منك أن تقف هناك بجوار النافذة وتشاهد ما يحدُث وتُعِد تقريرًا مُفصلًا، هل معك قلم حبر؟

أومأت برأسي في قلق وأخرجت قلمًا أخضر اللون شاحبه ماركة (ووتر-مان).

- وشيء لتُدون عليه يا (فرانك).

أومأت برأسي في ضيقٍ وقد ازدادت حدة توتري مما نحنُ مُقبلين عليه من مجهول، أخرجت مدونتي ثم قُلت له برجاء:

- لا أوافق عما سيحدث، ستُعرض نفسك لمخاطر مرعبة.

- لا تكن كامرأة عجوز حمقاء، اطمئن، لا شيء مما تقوله سيوقفني عما أنوي فعله، والآن أطالبك أن تبقى صامتًا بينما أراجع سريعًا تلك الرسوم التوضيحية.

رفع الورقة وركضت عيناه بين سطورها ورسوماتها،

بينما أراقب في قلق عقارب الساعة وهى تُشارف على الوصول لتوقيت محدد لحدوث شيء مُرعب قتلني خوفًا وأنا في انتظار حدوثه، ابتلع تشالمزر الدواء.. فتوقف الوقت تمامًا في الساعة!

نهضت سريعًا وتوجهت نحوه، فسمعته يُغمغم:

- لقد توقف الوقت، القوى العليا التي تحكمه تُرحب بي لأجد ضالتي.. لقد توقف الوقت.. أدعو الله ألا أضل طريقي.

اتكأ على الأريكة، هربت الدماء من وجهه كمن رأى شبحًا وفر هاربًا، تعالت أصوات أنفاسه إلى أن ثقُلت تمامًا، من الواضح أن مفعول العقار بدأ في التأثير عليه.

- الظلام يُخيم على كل شيء، دون ذلك سريعًا، كل شيء يُظلم، الأشياء المألوفة في الغرفة تختفي من الوجود، لا زلت أستطيع تمييزها من بين جفوني الثقيلة، ولكنها تختفي بشكل سريع للغاية.

هززت قلمي لينساب الحِبر لفوهته، وبدأت في تدوين ملاحظاتٍ قصيرة لأُلِم بكل شيء ولا أنسى ما يقول.

- أنا أغادر الغرفة، الجدران تختفي، فقدت القدرة على تمييز أي شيء مألوف ما عدا وجهك، ما زال مألوفًا بالنسبة لي نوعًا ما، أتوسل إليك أن تدَّون كُل شيء، أنا على وشك أن أقفز قفزة عظيمة في الفضاء، أو ربما قفزة زمنية، لا أستطيع أن أُحدد بعد.. كل شيء مظلم، غير

واضح.

جلس صامتًا للحظات، رأسه غارقٌ في صدره، ثم تخشب جسده فجأة وارتعشت جفونه قبل أن يُحملق في ذهول صارخًا بشدة:

- أبانا الذي في السماوات، أنا أرى!

تطلع وهو جالس للأمام، ناظرًا بذهول للحائط المقابل له، أدركت حينها أنه لا ينظر للحائط بالتحديد، بل استبصر ما خلفه من أحداثٍ انكشفت له وحده، أدركت أن الأشياء المُحيطة به لم تعُد في مجال رؤيته، أو كما وصف، تلاشت من أمامه. حذرته هاتفًا:

- تشالمرز، تشالمرز سأوقظك الآن!

- لا تقترب!

وأخذ يقُص عليّ ما يراه في عجلٍ ورهبة كالمسوس:

- أنا أرى كُل شيء؛ أنظر الآن إلى بلايين الحيوات اللاتي سبقن وجودي على هذا الكوكب، أرى رجالًا من مختلف الأعمار، ومختلف الأعراق، ومختلف الألوان، يحاربون بعضهم البعض، يقتلون ويرقصون ويغنون.. يجلسون حول نيران في منتصف الصحراء الجرداء، يطيرون في الهواء على متن طائرات أحادية الأسطح، يركبون البحار على متن مراكب مصنوعة من لُحيٍّ الأشجار وأخرى بخارية المحركات ومصنوعة من الحديد.. يرسمون

ثيران البايسون وأفيال الماموث على جدران كهوفٍ شبه مظلمة، وأخرون يرسمون لوحات مُعاصرة ذات تصاميم هندسية مستقبلية، أرى الهجرة من حضارتيّ جوف الأرض، (أتلانتس) و(ليموريا)، أرى أجناسًا ذوي أعمار أقدم منا، أقزامُ سمراء بشرتهم يجتاحون آسيا، وبشر (النياندرتال) برؤوسهم المنخفضة ورُكبهم المحنية يغزون أوروبا، أشاهد الـ(آخيون)- سُكان اليونان القدامى- يتدفقون بالآلاف للجزر اليونانية، أشهد بداية الثقافة الـ(هيلينية) على الشعوب، أنا في (أثينا) وقت شباب (بيركليس)، أقف على الأراضي الإيطالية وأشهد حادث إختطاف نساء (سابين)، أرتجف من هول ما يحدث أثناء مرور بحافل مؤيدي الامبراطور، ترتجف الأرض من تحتي بينما يمر من حولي آلاف جنود الهستاتي الرومانيين المنتصرين، مئات من العبيد العراة الغاضبين يمشون أمامي بينما يسير بجانبي ثور أسود عملاق يجر جرة كبيرة مُعبئة بالذهب والعاج تجاه (طيبة)، فتيات جميلات يصرخن: فليحيا القيصر، بينما أنظر لهن وأبتسم.. أنا نفسي عبدٌ في مطبخ مغربي الطراز.. أُشاهد تشييد كاتدرائية عظيمة، ويُرفع أمامي أحجارها لإكمال البناء، أحترق مُعلقًا على صليب في إحدى حدائق السفاح (نيرون) المُعطرة برائحة الزعتر، وأراقب في متعة تعذيب المدانين من محاكم التفتيش.

أدون، وأدون، وأدون كالمجنون، أتبع كلماته المختلة من

أثرِ مخدر يوشك على امتصاص عقلانيته بالكامل، وكأني ابتلعت بدوري حباتٍ من المخدر لتستحوذ عليّ كلماته التي جعلتني أدون دون توقف.

- أتجول في أقدس الأماكن، أدخل معابد (البندقية)، وأنحني أمام إلهة الأمومة (ماجنه-ماه-تر)، وأرمي العملات المعدنية على رُكب عارية لمحظياتٍ مُقدسات، وجوههن مُغطاة وهم جالسات في حدائق (بابل)، أتسلل لمسرح في أحد عصور النهضة مع بعض الرعاع، وألقي التحية على (تاجر البندقية)، وأتجول مع (دانتي ألجيري) في شوارع (فلورانسا)، ها هي الجميلة (بياترس)، قابلتها ونظرت إليها مبتسمًا، بينما تمسحُ نهاية فستانها الفضفاض مقدمة حذائي، أنا كاهن عظيم لدى (إيزيس)، سحري وقوتي يُذهلان الأمم، (سمعان المجوسي) يركع أمامي متوسلًا إليّ أن أساعده، ارتجف فرعون مصر حين دنوت منه، أنا في الهند، أتحدث مع الأساتذة العظام ثم أجري هربًا من وجودهم الذي يشبه تناثر حبات الملح على جرحٍ لم يلتئم.

وأسهب في وصف رحلته الجنونية أكثر:

- أُدرك كل شيء، أرى كل شيء في وقت واحد ومن جميع الجوانب، أنا جزء من مليارات التفاصيل المزدحمة من حولي، موجود في كل الرجال، وكل الرجال بداخلي، أشهد على التاريخ البشري بأكمله في لحظة واحدة فقط، الماضي والحاضر في قبضة يدي، مع القليل من

الجهد يمكنني الاطلاع على كل ما هو أبعد من رؤية أي شخص، أعود بالزمن من خلال مُنحنياتٍ وزوايا غريبة لم يتطرق إليها أحد.. الزمن هنا عجيب، ينقسم لنوعين؛ مُنحني ومُنزوي، أرى كائنات تسكنُ الزمن المنزوي، ويرفض الزمن المنحني دخولها إليه، أمر في غاية الغرابة.. سأقفز لأبعد من ذلك.. اختفى وجود البشر من الأرض، سحالي عملاقة تزحف تحت أشجار النخيل، وأخرى تقترب من بحيرات كئيبة لتسبح في مياهها السوداء البغيضة الراكدة.. والآن اختفت الزواحف أيضًا، لم يبق أي حيوان على سطح الأرض، ولكن في أعماق المياه السوداء، تتحرك أشكالٌ غير واضحة الملامح فوق نباتات القاع المتعفنة.. أصبحت الكائنات الآن في أبسط صورها؛ أُحادية الخلية، أصبحوا جميعًا مجرد زوايا غريبة لم أرى لها مثيل من قبل.. أنا خائفٌ بشدة!

سيطر الرعب على المكان وخيم القلق بقماشه الأسود الداكن على ذلك المُخترق الخرف وعليّ أنا أيضًا، فأصبحتُ أُدون بيدٍ مرتعشة من الخوف ما يراه ذلك التعس المجنون وحدُه.

- أسقط في هاوية لم يُدركها أي بشري من قبل.

وقف تشالمرز المسكين على قدميه وظل يعطيني إشارات وتلميحات بائسة بذراعيه بلا حول منه ولا قوة، أعلم أنه يمُر بأكثر المواقف المرعبة التي لم تخطر على بال أي شخص، استكمل بكلماتٍ مُرتعشة:

- أعبر الآن خلال زوايا غير أرضية.. أنا أقترب، يا إلهي.. زوايا مرعبة وملتهبة.

ناديته -مُتمنيًا أن يوافقني- بصوتٍ عالٍ:

- تشالمرز! هل تُريدني أن أتدخل الآن؟!

وضع يده اليمنى على وجهه ليُحاول أن يحجُب بكاءه عني:

- ليس الآن، سأُكمل ما بدأت.. سأرى كل شيء.. ما.. يسكن.. خلف.. ذلك.. الحاجز.

تساقطت قطراتُ عرقٍ باردة من رأسه وتناثرت على كتفيه وهو يقول مصدومًا:

- أنا أرى ما يسكن خلف الحياة نفسها، أرى أشياءً لا أستطيع تمييزها، ليس لها أجساد، مخلوقات تتحرك ببطء عبر زوايا مُرعبة.

تسللت رائحة نتنة للغرفة لدرجة أنني كدت أتقيأ ما يسبح في معدتي، فركضتُ إلى النافذة وفتحتها، وعدتُ بعد ذلك ونظرت لوجه تشالمرز الذي كاد يُفقدني الوعي..

- أظن أنهم اشتموا رائحتي.. لقد أدركوا وجودي..

وبكى بهستيريا وهو يقول:

- إنهم.. يتجهون.. نحوي!

ارتجف جسده بشدة، وحرك يديه في الهواء كمن يتشبث بشئ خفي، ثم خذلتاه ساقيه وسقط على وجهه ليتألم

ويصرخ.. راقبته بنظرات مشلولة، لم يعُد تشالمرز شخصًا طبيعيًا بعد الآن.. أسنانه مكشوفة، ولعابه يسيل من زوايا فمه، فبكيت وأنا أتوسل إليه:

- تشالمرز.. توقف، هل تسمعني؟.. توقف الآن، أستحلفك أن تتوقف الآن!

جاءتني إجابته بكلمات متشنجة لم أفهم منها شيئًا وبصوت أقرب ما يكون لنباح الكلب، وبدأ في التلوي بشكل دائري هستيري في أرضية الغرفة، انحنيت مُقتربًا منه وأمسكت بكتفيه بمنتهى العنف واليأس، هززت جسده بقوة فالتفت إليّ بسرعة خارقة وقضم معصمي بأسنانه، تألمت مرعوبًا مما يحدث، لكني لم أجرؤ على إفلاته من قبضتي خشية أن يصيب نفسه بسوء في خضم موجة الهياج العارمة التي انتابته.

- تشالمرز!.. يجب أن تتوقف الآن.. .لا يوجد أي شيء في تلك الغرفة بإمكانه أن يؤذيك.. هل تفهمني؟

واصلت هزه بقوة، إلى أن خارت قواه تمامًا، واعتلت ملامحه بعض العقلانية التي التهم جنون تلك التجربة الملعونة أغلبها، سقط أرضًا مثل كومة من الركام بلا حراك على سجادة المكتب الصينية الصُنع، حملته بين ذراعيّ ووضعته على الأريكة، ملامحه مُتشنجة من الألم والرعب.

تمتم بوهن:

- ويسكي، ستجد زجاجة في الخزانة بجانب النافذة،

الدرج الأعلى على اليسار.

ناولته الزجاجة فقبض عليها بمنتهى القوة لدرجة أن مفاصله قد أظهرت زرقة عروقه، وشهق خائفًا:

- أوشكوا على الإمساك بي.

أفرغ الزجاجة بجرعات ثابتة في معدته، فعادت الحياة لوجهه مرة أخرى:

- ذلك العقار شيطاني!

- العقار ليس السبب.

عيناه الآن لا تلمعان، هيئته كمن سُحبت روحه من جسده:

- لقد اشتموا رائحتي، اخترقت مجالهم بشكلٍ مُرعب.

حاولت التخفيف من عبء الموقف فقُلت بسخرية:

- وكيف بدت أشكالهم؟

انحني للأمام وأمسك بذراعي، كان يرتعش بقوة وهو يهمس بصوتٍ أقرب لفحيح الأفاعي:

- لا توجد أي كلمات في لغتنا لوصفهم، يُرمز إليهم بالغموض والبغضاء في (أسطورة السقوط)، وعُثر على رسومات لهم في الألواح القديمة، عرف الإغريق أسمائهم مما حجب قبحهم وشرورهم عن البشرية أجمع؛ الشجرة والثعبان والتفاحة، تلك هي رموز الكيانات الشريرة الملعونة

الغامضة، والمفترسة.

ثم ارتفع صوته وقارب على الصراخ وهو يقول:

- فرانك، فرانك! هناك عقد بموجب صك، فعلة شنيعة لا توصف حدثت في بداية كل شيء، قبل الزمن نفسه.

قام من مجلسه وسار بخطوات مُهتزة هستيرية في أرجاء الغرفة، ثم أكمل كلماته غير المفهومة:

- صك الموتي، العقد.. إنهم يتحركون عبر زوايا زمنية قاتمة ومُقبضة.. جائعون وعطشون للغاية.

ناديته وحاولت انتشاله من بركة الجنون السوداء تلك:

- نحنُ في العقد الثالث من القرن العشرين يا صديقي.

- إنهم هزيلون وعطشون للغاية، كِلاب صيد تِندالوس!

- تشالمرز، هل أتصل بطبيب؟

- لن يستطع الطبيب مساعدتي بأدويته الآن، ما أشعر به قد أصاب روحي بأهوالٍ مُفزعة حقيقية تمامًا يا فرانك.

ووضع وجهه بين راحتيّ يديه وبكى:

- إنهم حقيقيون يا فرانك، رأيتهم للحظة واحدة فقط، للحظة واحدة فقط وجدت نفسي أقف على الجانب الآخر، جانب شاحب رمادي يقع خلف الزمن والفضاء، منطقة مضيئة بلا أنوار مُفرحة، مكان يصرخ بلا صوت.. .لقد رأيتهم يا فرانك!

علت دقات قلبي من أوصافه المُفزعة، حاولت قمع وقعها عليّ كيلا تنضح على وجهي وأنا أحاول تهدئته.

- كُل شرور الكون اجتمع في أجسادهم الهزيلة الجائعة، رأيتهم للحظة واحدة فقط؛ سمعت فيها أصوات أنفاسهم، وشعرت بالهواء الساخن يلفح وجهي.. التفتوا لمواجهتي ولكني ركضتُ وأنا أصرخ، في لحظة واحدة قفزت عبر الزمن لأهرب.. قفزتُ مئات السنين حتى وصلت إلى هنا.. لكنهم استشعروا وجودي، لقد أيقظ وجودي جوعهم الكوني، هربت في لحظة فور رؤيتي للجوع والقسوة المكونين لهيئاتهم، إنهم متعطشون للغاية لكل ما هو طاهر فينا، هُناك جزء من البشرية لم يشارك فيما حدث في الماضي، وهم يكرهون ذلك.. ليسوا أشرارًا بالمعني الذي نعرفه، فهم يتجاوزون مفاهيم الخير والشر، العقد جعلهم أقذر مما نستوعب، أجسادًا تعي الموت، وأوعية لكل ما هو شرير، لكنهم ليسوا بأشرار كما نعرف عن الشر، فوفقًا لوجودهم؛ لا يوجد فكر، ولا أخلاق، ولا صواب أو خطأ. فقط كراهية وشرور بلا مُبرر، ألم أقل لك؟ زوايا ومنحنيات! البشرية منبعها المنحنيات بما تحمله من خير، والشر وحده يسكن الزوايا، وهم أصل الشر نفسه؛ ساكنو الزوايا الوحيدين.. لا تستهزئ بكلماتي يا فرانك.. أنا أعي كل كلمة مما أقول.

نهضت من مجلسي، ووضعت قبعتي على رأسي، وقُلت له أثناء سيري نحو الباب:

- تشالمرز، أنا آسف من أجلك للغاية، ولكني لا أنوي البقاء لأستمع لتلك الترهات.. سأرسل لك طبيبي الشخصي صباحًا ليفحصك، وهو رجل مُسن وطيب، ولن يشعر بالإهانة إن أطلقت عليه وابل من السُباب.. أتمنى فقط أن تحترم ما سينصحك به.. استرح ولا تمارس أي مجهود لمدة أسبوع.. وستسترد صحتك وحالتك العقلية.

سمعت ضحكاته اللا واعية وأنا أنزل على درجات السلم، ضحكات قاسية.. لدرجة أنها دفعتني للبكاء حُزنًا على ذلك المسكين.

(2)

عندما اتصل بي (تشالمرز) في اليوم التالي أوشكت على إنهاء المكالمة فورًا؛ فقد طلب طلبًا غريبًا للغاية، وصوته هيسيتري لأبعد حد لدرجة جعلتني أخاف أن أواكبه فيما يقوله خشية أن أُصاب بلوثة عقلية مثله، ولكن صوته البائس وسماعه ينهار ويجهش بالبكاء عبر الهاتف جعلاني أوافق على مطالبه فورًا.

- حسنًا يا تشالمرز، سأحضر الجص وسآتي على الفور.

وفي الطريق لمنزله، وقفت عند متجر لبيع المُعدات والدهانات، وابتعت عشرين رطلًا من الجص الأبيض، دخلت حجرة صديقي بعد ذلك لأجده يقرفص بجانب النافذة، يراقب في هلع الجدار المقابل بعينين محمومتين بالفزع، وعندما رآني وقف على قدميه بسُرعة وانتشل من يدي حقيبة الجص بشغفٍ قاتل، ما أفزعني أكثر هو تخلصه من كل الأثاث الموجود بالغرفة، حتى أصبحت كئيبة وموحشة.

- أمامنا فرصة لردع هجومهم، يجب أن نعمل بسرعة يا فرانك، يوجد سلم مُتنقِل في البهو بالخارج، أحضره بسرعة.. وأحضر أيضًا جردل مياه.

- فيم ستستخدمه؟

نظر لي بحدة ووجهه محتقن بلون الدماء، ثم قال بغضب:

- خلط الجص أيها الأحمق، الجص سينُقذنا جميعًا، سيحمي أرواحنا وأجسادنا من تلوث غير طبيعي، الجص سيحمينا من.. فرانك، يجب أن نُبعدهم بأسرع وقت!

- نُبعدُ من يا تشالمرز؟

- كلاب صيد تِندالوس! يُمكنهم الخروج إلينا من الزوايا فقط، يجب أن نُغلق البوابات المتمثلة في زوايا الغرفة، يجب أن نُخَصصِ كل الزوايا والشقوق يا فرانك.. يجب أن نجعل تلك الغرفة أقرب ما تكون للكُرة من الداخل.

أدركت ألا جدوى من النقاش، فأحضرت السلم المُتنقل في صمت، خلط (تشالمرز) الجص بالماء، وعملنا معًا لثلاثة ساعات كاملة؛ ملأنا كل الزوايا في الجدران وتقاطعات الأرضية معهم، حتى أصبحت الغرفة دائرية الشكل بالكامل من الداخل، جلس يتطلع للغرفة ثم قال:

- سأبقى هنا وأنتظر ما سيحدث؛ عندما تقودهم رائحتي لما خلف هذه الغرفة سيحاولون اختراقها وسيعودون.. سيتبعون رائحتي البشرية عبر المنحنيات، سيعودون مُكشرين عن أنيابهم بشكل مُرعب، هم غير راضين عن بذاءات ما قبل الزمان، وما وراء الفضاء.

وأومأ برأسه محييًا إياي وأشعل سيجارة:

- شكرًا يا فرانك لأنك ساعدتني.

- ألن تسمح للطبيب برؤيتك يا تشالمرز؟

- امم.. ربما في الغد.. يجب أنا أنتظر وأشاهد ما سيحدث أولًا، أعلم أنك تظنني مخبولًا.. أنت ذكي، ولكن أفكارك مُبتذلة، لا يتصور عقلك المحدود وجود كياناتٍ أخرى غيرنا لا تعتمد في وجودها على المادة والزمن، هل تعلم يا صديقي أن الزمن والمادة هما عائقان فحسب أمام الإدراك، وأننا لن نستبصر إذا ما استمررنا في أخذ وجود الزمان والمادة في الاعتبار؟ عندما يعرف المرء الحقيقة كما عرفتُ أنا، سيُدرك ما رأيتُ، وأن الزمان والمكان والمادة متطابقون تمامًا، كلهم أشكال خادعة، مجرد مظاهر غير ناضجة لواقع أكبر وأعلى، لذلك سيتجنب محدودو التفكير من أمثالك البحث في عوالم الماورائيات وتفسير الغموض وعوالمه المرعبة.

نهضتُ بحزم وسرتُ نحو الباب، فصرخ في قائلًا:

- سامحني يا فرانك، لم أقصد الإساءة، أعترف أنك فائق الذكاء، ولكن عقلي - أنا- خارق الذكاء.. لذلك من الطبيعي أن أكُن على دراية بحدود استيعابك.

تجاهلت كلماته وقُلت:

- هاتفني إن احتجت لشيء.

نزلت السلم قفزًا، أتجاوز درجتين في كل مرة وأتمتم لنفسي:

- حالتك ميؤوس منها يا (تشالمرز)، وحده الرب يعلم ما سيحدث لك إن لم يتصرف أحدهم بحيالك فورًا!

(3)

السطور التالية هى تلخيص لخبرين منشورين في جريدة پارتِردچفيل في الثالث من يوليو عام 1928:

في تمام الثانية من ظهر اليوم حدثت هزة أرضية قوية بشكل غير عادي، أدت لتدمير النوافذ الزجاجية لـ(سنترال سكوير)، وشوشت الشبكات الكهربائية لأنظمة السكك الحديدية بالكامل، شعر سُكان المناطق النائية بالزلزال، وتدمر برج الكنيسة المعمدانية الأولى في (أنچيل-هيل) الذي صممه (كريستوفر رين) في 1717 بالكامل، ويحاول رجال الإطفاء الآن إخماد حريقٍ هائلٍ قد يتسبب في تدمير مصنع پارتِردچفيل للغِراء.

وعد رئيس البلدية بإجراء تحقيقٍ شاملٍ وبذل مجهود مضني لسُرعة الكشف عن سبب الحادث الكارثي.

قتلُ كاتبٍ مغمورٍ على يد ضيفٍ مجهول الهوية.

جريمة مروعة في (سنترال سكوير) يحيط بها الغموض؛ عُثر على (هالبين تشالمرز) في التاسعة من صباح اليوم مقتولًا في غرفة فارغة فوق متجر للمجوهرات في جادة (سميث-ويك وأيزاك)، 24 من (سنترال سكوير).

كشفت تحقيقات الطب الشرعي أن القتيل استأجر الشقة مؤثثة بالكامل، وأنه تخلص من الأثاث بعد ذلك، (تشالمرز) كتب في مواضيع مختلفة، وأقام سابقًا في شقة بـ

(بروكلين - نيويورك).

بدأ كل شيء حين اشتم جاره السيد (إل. إيٍ هانكوك) رائحة غريبة وقت خروجه من شقته المقابلة لشقة القتيل، ليجلب جريدة الصباح وقطته التي اعتادت التجول في الخارج، كانت الرائحة قوية ونفاذة للغاية لدرجة أنه أمسك بأنفه ليمنعها من التسرب لرئتيه وإصابته بالغثيان حسب وصف السيد (هانكوك)، ومصدرها شقة (تشالمرز)، وخطر ببال الجار فكرة أن السبب هو تسرب مُفاجئ للغاز الطبيعي في شقة القتيل، فأبلغ مُشرف العقار الذي فتح باب الشقة باستخدام مُفتاح الطوارئ الاحتياطي، وعندما دلف الاثنان لداخل الغرفة، شاهد (هانكوك) هولًا جفف الدماء في عروقه، أما المشرف فلم ينبس ببنت شفة، بل اقترب من النافذة المفتوحة على مصراعيها وظل يتفحص المبني المقابل في صمت، لمدة خمس دقائق كاملة.

أما (تشالمرز) فكان جثمانه مُستلقيًا على الأرضية، شاغرًا فاهه كمن صرخ في فزع قبل موته، صدره وذراعاه مُغطيان بالكامل بمادة أشبه بالصديد زرقاء اللون، رأسه موضوع على صدره حرفيًا، مبتورة تمامًا عن جسده، وملامحه مُشوهة ومُلتوية بشكلٍ رهيب!

ليس هناك أي أثر للدماء، مظهر الغرفة مرعب بالكامل؛ لُطخت زوايا الجدران بالجص، وكذلك تقاطعات الأرضية معها، لاحظ الزائران أن بعض الجص سقط من على

الجدران، وأن أحدهم قد جمعه وشكل به مُثلثًا كاملًا مُكتملًا حول الجثة، ووجدوا إلى جواره أوراقًا قديمة وصفراء مرسوم عليها أشكال وتصاميم هندسية، بالإضافة لبعض الملاحظات المكتوبة على عجل، لم تُستخرج أدلة كثيرة من الأوراق نظرًا لسرعة تدوين صاحبها لمحتواها، إلا مقطع واحد كتبه تشالمرز بنفسه:

"أنا أنتظر وأراقب ما سيحدث، أجلس بجانب النافذة مُتطلعًا للجدران والسقف، لا أعتقد أنهم سيستطيعون الدخول إليّ، ولكن الحذر كل الحذر من الممرات، فبإمكانها المساعدة على الاختراق، مخلوق (الساتير) سيساعدهم عن طريق طقوس (الدوائر القرمزية)، لقد ذكر اليونانيون طريقة لمنع حدوث ذلك في مخطوطاتهم.. يا إلهي.. كيف لي أن أنسى شيء كهذا؟".

في ورقة أخرى، وجدها محقق القضية الرقيب (دوجلاس) من قسم بارترِدچفيل ضمن السبع أو الثمانِ ورقات المُتفحمات، كُتب الآتي:

"يا إلهي، الجص يتشقق ويتساقط بفعل صدمة عنيفة، ربما زلزال هو السبب، لم أستعد لمفاجأة كتلك أبدًا، الظلام يبتلع الغرفة، يجب أن أتصل بـ(فرانك)، ولكن هل سيستطيع الوصول في الوقت المناسب؟ سأحاول.. سأقرأ صيغة (أينشتاين).. سأفعل ما بوسعي.. يا إلهي.. إنهم يخترقون الغرفة.. الدخان يتدفق من كل زوايا الغرفة التي زال عنها الجص.. ألسنتهم تـ.. آآاه..".

يرى المحقق الرقيب (دوجلاس) أن (تشالمرز) قد تسمم ببعض المواد الكيميائية غامضة المصدر، لذا أرسل بعضها لمختبرات پارتِردچفيل لفحصها، وفي انتظار التقرير الذي سيُلقي الضوء على أغرب جريمة قتل حدثت في السنوات الأخيرة وأكثرها غموضًا، من المؤكد أن (تشالمرز) لقى مصرعه في الليلة السابقة للزلزال؛ لأن جاره سمع بوضوح همهمات مُحادثة بين طرفين في غرفة (تشالمرز) حين مر بجوار الجدار الفاصل بينها وبين الممر المؤدي لدرج العقار.. وينُبئ الشك بشدة، أن الزائر المجهول هو الفاعل، وعناصر الشرطة يسعون بكُلِ جُهدٍ للكشف عن هويته.

(4)

تقرير السيد (چيمس مورتون)، الكيميائي وعالم البكتيريا، للمُحقق (دوجلاس) من قسم پارتِردچفيل.

عزيزي السيد دوجلاس..

السائل الذي قمت بإرساله لي هو من أكثر السوائل التي قمت بفحصها غرابة على الإطلاق، يُشبه إلى حد كبير البروتوبلازم- الأساس الحيوي للكائن الحي- لكنه يفتقر لوجود أي إنزيمات، فالإنزيمات تحفز التفاعلات الكيميائية التي تحدث في الخلايا الحية، وعندما تموت الخلية تتفكك بواسطة التحلل المائي؛ أي تفاعل إضافة الهيدروكسيل، لذلك عدم وجود إنزيمات سيعطي البروتوبلازم قدرة حيوية لا نهائية، وبمعني أصح؛ خلود أبدي، وهو أمر غريب كل الغرابة في علم الخلايا.

وبذلك، فإن العينة التي أرسلتها لي لا زالت على قيد الحياة رغم افتقارها للإنزيمات التي لا غنى عنها.

يا إلهي، هل تدري يا سيدي ما هي الآفاق الجديدة التي سيفتحها لنا هذا الاكتشاف المذهل؟

(5)

مُقتطفات من "المُراقب القرمزي" للراحل "هالبين تشالمرز.

ماذا لو اكتشفنا وجود حياة أخرى بالتوازي مع الحياة التي نعرفها، ولكنها.. حياة لا تنتهي؟ حياة تفتقر للعناصر التي ستُدمر حياتنا المعتادة يومًا ما، ربما يوجد أبعاد أخرى ذات قوى مختلفة عن تلك التي أوجدت حياتنا، ربما هي قوى مُنبعثة من الطاقة، أو شيءٍ مُشابه لها، تعبر من أبعاد غير معروفة وتخلق أشكالًا مختلفة من الخلايا الحية في أبعادنا، لا أحد في البُعد الذي ولدنا وعشنا به يعلم شيئًا عن تلك الخلايا الغريبة عن عالمنا، لكني رأيت تجليات واضحه لهم بنفسي، وتحدثت معهم في غرفتي ليلًا، تحدثتُ مع كائن "الدوِيل"، مُلتهم الفضاء في أحلامي، ووقفت على شواطئهم الكئيبة

المعتمة في أبعاد ما خلف الزمن والمادة، رأيته يتحرك خلف الشقوق المُفزعة والزوايا الرهيبة.. ويومًا ما.. سأُسافر وأقابله.. وجهًا لوجه.

عن كلاب صيد تيندالوس

"كلاب صيد تِندالوس" هى قصة قصيرة من تأليف الكاتب (فرانك بيلناب لونج)، وتحكي قصة الصحفي والمؤلف (هالبين تشالمرز) الذي تناول عقارًا صينيًا اكتشفه عالم صيني يُدعى (لاو-تزي) مُعتقدًا بأنه سيُمكنه من السفر عبر الزمن، ليضطر بعد ذلك لمواجهة كائنات من أبعادٍ أُخرى تُسمى كلاب صيد تندالوس.

حاول بعض الرسامين تكوين شكل واضح لتلك الكائنات البشعة الجائعة، فقاموا برسمهم كمخلوقات من فصيلة "الكلبيات"، ربما يوحى

اسمهم بذلك ولكن كلاب صيد تِندالوس ليسوا بأنواعٍ مألوفة من الكلاب يا عزيزي؛ فهي مخلوقات جائعة، هزيلة من شدة الجوع، يختبئون في زوايا الزمن بينما البشر وباقي الكائنات يسكنون المُنحنيات، وإذا ما اشتموا رائحتك فسيلحقون بك أينما تخطيت من أبعاد زمنية، سيخرج دُخان أزرق من زوايا غرفتك، ثم يتبعه رأس كلب ومن ثم جسده، وهو أغرب كلب ستراه في حياتك التي ستنتهي بعد عدة دقائق.

يُقال أن أي بشري يعرفه الكلاب سيستمرون في مطاردته مهما حاول الهرب، وسيلاحظونه بمجرد محاولة البشري أن يسافر عبر الزمن.

وذلك ما حدث في قصتنا.

أراد تشالمرز بشدة أن يُسافر عبر الزمن ليفعل ما عجز الجميع عن فعله، ويعود بعد ذلك ليُحطم ثوابت العلوم الحديثة وينتصر على أقرانه المشككين في وجود عوالم ما وراء الطبيعة، فاصطدم أثناء رحلته بما عجز عقله عن تفسيره، وبدلًا من عودته كبطل وعالم، عاد

كفريسة تُطاردها مخلوقات قديمة لا تعرف إلا الجوع الشديد!

ابتكر الكاتب "فرانك بيلناب لونج" كلاب صيد تِندالوس، ثم وثق أوجَست ديليريث الفكرة لتنضم إلى الكائنات المُفزعة الأسطورية في عوالم لافكرافت، وقد ذكرهم لافكرافت نفسه في قصته (الهامس في الظلمات المنشورة) عام 1931، وعلى غرار أسلوب الرُعب الكوني الغامض والمُفزع، فنحنُ- حتى الآن- لا نعرف أي أوصافٍ دقيقة عن تلك الكائنات، وحين طُلب من لافكرافت وبيلناب لونج أن يصفا الكائنات رفضا وقالا أنهم كائنات كريهة ومُفزعة لدرجة تعجز عن وصفهم، ويروي البطل المُرتعد مقطعًا وهو يقول أن أسمائهم "تحجب قبحهم"، تخيلهم البعض بألسنة قرمزية تنتهي بمجسات تمتص سوائل الضحايا، ويُمكنهم الظهور ثم الخروج من أي زاوية حادة -120 درجة أو أقل- وهي فقط تحوي الشرور ويعيش بها المسوخ والوحوش.

والآن عزيزي القارئ، أعِد قراءة القصة لتعرف ما

يحدُث للإنسان المُخترق لعوالم لا ينتمي لها، أطلب منك فقط، ألا تنسى شراء الكثير من الجص بعض انتهائك من القصة.. لماذا؟.. لأنك خُضت التجربة وها أنا أحثك على خوضها مُجددًا.

الحجر الأسود

قصة لروبرت إي هوارد

ترجمة د. أحمد تركي

نُشرت لأول مرة في مجلة حكايات غريبة عدد نوفمبر

1931

"يتداولون أقوالًا قذرة عن الألحان القديمة التي لا تزال كامنة في أركان العالم المنسية المظلمة، والبوابات التي تتأرجح في ليالٍ معينة، تُخفي أشكالًا محبوسة في الجحيم".

- جاستن جوفري

(1)

قرأت عن الأمر لأول مرة في كتاب فون يونزت، الألماني غريب الأطوار الذي عاش بفضولٍ دائم ثم مات في ربيع عمره بصورة غامضة، كانت ثروة لا تُقدر بثمن أن أتمكن من الوصول إلى النسخة الأصلية من كتابه طوائف بلا أسماء المُسمى بالكتاب الأسود والمنشور في دسلدورف عام 1839 قبل وقت قصير من هلاك المؤلف، يعرف معظم جامعي الأدب النادر كتاب طوائف بلا أسماء بطبعته ذات الترجمة الرخيصة المليئة بالأخطاء التي قرصنتها برايدوول في لندن عام 1845، وكذلك الطبعة المنسوخة بعناية التي نشرتها مطبعة جولدن جوبلِن في نيويورك عام 1909، أما المجلد الذي عثرت عليه فهو واحدٌ من النسخ الألمانية الكاملة الهاربة من مقاصل الرقابة، ذا غطاءٍ جلدي ثقيل ومشابك حديدية صدئة وجافة للغاية، لا أظن أن هناك أكثر من سِتة نسخ من هذا المجلد في العالم بأسره اليوم، والسبب أن الكمية التي نُشرت ليست كبيرة، وعندما انتشر خبر وفاة المؤلف بالطريقة الشنيعة المتداولة أحرق معظم من يمتلكون نُسخًا من الكتاب مجلداتهم في ذعر.

خاض فون يونزت طوال حياته (1795-1840) في المواضيع الشائكة المحظورة، وسافر إلى جميع أنحاء العالم، وانخرط في مُجتمعاتٍ سرية لا حصر لها، وقرأ عددًا عظيمًا من الكتب غير المعروفة والمخطوطات الباطنية

الأصلية؛ تجد ذلك في فصول الكتاب الأسود التي تتراوح محتوياتها من الوضوح الصادم إلى الغموض الشديد، هناك عبارات وتلميحات تُجمد دماء أي رجل يُفكر ولو لحظات، وتُثير قراءة ما تجرأ فون يونزت على قوله في الكتاب المطبوع تكهنات مُضطربة عما لم يجرؤ على قوله، فعلى سبيل المثال؛ تلك الأمور المُختبئة في ظلمات الأرض والتي يُقال أنها كُتبت في الصفحات التي تُشكل المخطوطة غير المنشورة التي عمل عليها بلا توقف لأشهر قبل وفاته، والتي وُجدت مُمزقة ومبعثرة في أركان غرفته الخاصة والمُغلقة بإحكام من الداخل وقت عثورهم عليه ميتًا وعلامات أصابع متُشققة محفورة على حلقه تُثبت خنقها له حتى الموت، لن نعرف تلك المحتويات بالضبط أبدًا، ما نعرفه هو أن أقرب صديق للمؤلف وهو الفرنسي أليكسيس لادو أمضى ليلة كاملة يُرتب تلك الأوراق معًا وقرأ ما كُتب فيها، ثم حرقها إلى رمادٍ خالص قبل أن يقطع حلقه بموسٍ حاد.

لكن المحتويات المنشورة في الكتاب تُثير الارتجاف في القلوب بما يكفي، حتى لو تقبل القارئ أنها كتابات رجل مجنون يهذي.

من بين الأمور الغريبة العديدة المذكورة في متن الكتاب ذكر الحجر الأسود، وهو عمودٌ قديمٌ خبيثٌ يُثير الفضول تحتضنه جبال المجر، وتتحلق حوله عناقيد عديدة من الأساطير المُظلمة، لم يُخصص فان يونزت مساحة كبيرة للحجر الأسود لأنه اهتم أكثر بالمواضيع الكئيبة مثل

الطوائف السرية وأدوات العبادات الظلامية التي يُدلل على وجودها الحقيقي في أيامه، وهنا يبدو أن الحجر الأسود يُمثل رمزًا لتنظيم أو كيانًا مفقودًا أو منسيًا منذ قرون، لكنه تحدث عن الحجر بصفته أحد المفاتيح، وهو مُصطلح استخدمه مرات عديدة ويُشكل واحدًا من الغوامض في النص، وألمح يونزت باختصار إلى المشاهدات اللافتة للأنظار التي يُمكن رؤيتها حول الحجر في ليلة مُنتصف الصيف، وذكر نظرية الألماني أوتو دوستمان القائل بأن الأثر من بقايا غزو الهون للمجر، شُيد لإحياء ذكرى انتصار أتيلا على القوط، لكن فون يونزت يرفض هذا الزعم دون أن يُقدم ما يُفند أقوال دوستمان، قال فقط إن: نسب أصول الحجر الأسود إلى الهون هو بنفس درجة منطقية افتراض أن ويليام الفاتح هو من شيّد الستونهينج.

أثارت هذه المعلومات عن الآثار والعصور القديمة اهتمامي، وبصعوبة عثرت على نسخة عفنة اقتاتت عليها الفئران من كتاب دوستمان (آثار الإمبراطوريات المنسية)، مطبوعة في برلين عام 1809عن دير دراكينهاوس للمطبوعات، فأصابتني خيبة أمل كبرى عندما اكتشفت أن دوستمان أشار إلى الحجر الأسود باختصار أكبر مما أشار إليه فون يونزت، وكل ما كتبه بضعة أسطر يعتبر فيها الحجر قطعة أثرية حديثة نسبيًا على عكس الآثار اليونانية والرومانية في آسيا الصغرى والتي تحدث عنها كأنها حيواناته الأليفة، واعترف بفشله في التعرف على وجوه

الشخصيات المُشوهة المحفورة على الحجر لكنه افترض أنهم من المنغوليين أو من المُصابين بالمُغليّة، ورغم ذلك فقد ذكر دوستمان اسم القرية المُجاورة للحجر الأسود؛ ستريجويكافار، وهو اسمٌ مشؤوم يعني شيئًا مثل (مدينة الساحرات).

وبفحص جيد للكُتيبات الإرشادية ومجلات السفر لم اكتسب مزيدًا من المعلومات، ستريجويكافار تلك ليست موجودة في أي خريطة عثرت عليها، لكني عرفت أنها تقع في منطقة برية يتردد عليها القلائل، وبعيدة عن مسارِ السياح العاديين، ووجدت مقالًا يُثير التفكير في كتاب دورلني للفلكلور المجري عنوانه: أساطير الأحلام، يذكر فيه الحجر الأسود ويحكي عن بعض الخُرافات الغريبة المُتعلقة به، وخاصةً الاعتقاد بأنه إذا نام أي شخص بالقرب منه فستُطارده كوابيسٌ وحشية إلى نهاية عمره، واستشهد بحكايات القرويين عن الفضوليين الذين غامروا بزيارة الحجر في ليلة عيد مُنتصف الصيف، وماتوا وهم يصرخون بجنون لأنهم رأوا شيئًا هُناك.

تعاظم اهتمامي بالحجر بعد ما قرأته عن الحجر الأسود، وأحسستُ بهالةٍ شريرة واضحة تحوم حوله، فكرة أنه بُني في العصور القديمة المُظلمة، والتلميحات المُتكررة لأحداث غير طبيعية في ليلة منتصف الصيف لمست غرائز نائمة بداخل تكاد تستيقظ، حيث يشعر المرء بتدفق أنهارٍ جوفية مُظلمة بالليل، ولا يسمعهم أو يراهم، بل يشعر بهم فحسب.

وفجأة رأيت في عقلي رابطًا واضحًا بين هذا الحجر وقصيدة

غريبة ورائعة مُعينة كتبها الشاعر المجنون جاستن جوفري، يتحدث فيها عن أُناسٍ يُمارسون شعائر غريبة عند حجرٍ أثري قديم، وتتفق الاستقصاءات أنه كتب القصيدة أثناء سفره في أنحاء المجر، وهنا لم أشُك للحظة في أن الحجر الأسود هو ما يُشير إليه في قصيدته الغريبة.

بحثت عن مكانٍ أقضي فيه إجازة قصيرة وقد عزمت أمري بالفعل، ذهبت إلى ستريجويكافار بقطارٍ من طرازٍ قديمٍ عفا عليه الزمن من تيميسفار إلى مسافة قريبة جدًا من هدفي، ثم أخذتني مركبة ترتج أثناء سيرها بسبب الطريق شديد الوعورة في رحلة لثلاثة أيام إلى قرية صغيرة تقع في وادٍ خصبٍ مُرتفع فوق جبالٍ تكسوها أشجار الشوح.

كانت رحلة هادئة مرت دون أحداث تُذكر، مررنا في اليوم الأول بالساحة القديمة لمعركة شومفال حيث وقف الفارس البولندي-المجري الشجاع؛ الكونت بوريس فلادينوف، بشجاعة وعبثية عجيبة ضد حشود جيش السُلطان سليمان القانوني المُنتصر، أثناء اجتياح المُسلمون الأتراك لأراضي أوروبا الشرقية عام 1526.

أشار سائق الحافلة إلى كومة كبيرة من الحجارة المُنهارة فوق بعضها، فوق تلٍ قريبٍ، وقال أن عظام الكونت الشجاع مدفونة تحتها، فتذكرت مقطعًا من كتاب لارسون (الحروب التركية):

"بعد المناوشة التي نجح بها الكونت وجيشه الصغير في

وقف تقدم الحرس التركي، وقف فوق التل أسفل جُدران القلعة القديمة المُدمرة وأصدر الأوامر بشأن تحركات قواته، فأحضر له أحد مُساعديه حقيبة صغيرة مطلية بالورنيش أُخذت من جثة الكاتب والمؤرخ التركي الشهير سليم باهادور الذي سقط في الميدان، فسحب منها مخطوطًا ملفوفًا حول نفسه وبدأ يقرأ، ولم يستمر طويلًا قبل أن يشحب وجهه، فأعاد لف المخطوط ووضعه مكانه دون أن ينطق بكلمة، ودفع الحقيبة بقوة داخل عباءته، وفي تلك اللحظة فتحت بطارية مدفعية تُركية مُختبئة النيران عليهم، وضربت الكرات القلعة القديمة، فارتعب المجريون إذ تنهار جدران القلعة بالكامل لتُغطي جسد الكونت، وتمزَق بعدها الجيش الصغير الشجاع إلى أشلاء، وكنست الأعوام الحرب وتبعاتها لكن عظام النبلاء لم تُسترد أبدًا، واليوم يُشير السكان الأصليون إلى تلك الكومة الضخمة من الأطلال بالقرب من شومفال باعتبارها قبرًا ترقد تحته بقايا الكونت بوريس فلادينولف حسب زعمهم.

حينما دخلت ستريجويكافار وجدتها قرية صغيرة، ناعسة حالمة تُكذب كُنيتها الشريرة؛ كدوامة خلفية نساها التقدم أثناء مروره، البيوت جذابة والملابس فاخرة وأخلاق الناس وتعاملاتهم آتية من القرن الماضي، كانوا ودودين وفضوليين إلى درجة ما، أعينهم تفيض بالفضول لكن دون أي أسئلة مُنفرة، ويبدو أن الزوار من العالم الخارجي نادرًا ما يأتون إلى هنا.

- منذ عشر سنوات، جاء أميركيٌّ آخر إلى هنا ومكث بضعة أيام.

قالها صاحب النُزل الذي أُقيم فيه:

- كان شابًا يتصرف بغرابة ظاهرة، ويُدندن لنفسه كثيرًا، كان شاعرًا حسبما أظن.

عرفت أنه يقصد جاستن جوفري.

- كان شاعرًا بالفعل، وكتب قصيدة عن مشهد قريب من القرية.

- أفعل ذلك؟!

قالها مُضيفي وقد أُثير اهتمامه:

- لا بد أنه نال الشهرة والعظمة بما أن كل العظماء من الشعراء غريبيَ الكلام والأفعال، لأن أفعاله وأحاديثه كانت أغرب مما قد يصدر من أي رجل عرفته على الإطلاق.

- كما يحدث مع الفنانين، اعترف الناس به وذاع صيته بعد وفاته.

- مات؟

- مات وهو يصرخ في مشفى للمجانين منذ خمس سنوات.

تنهد الرجل وقال بلهجة مُتعاطفة:

- هذا سيئ للغاية، سيئ للغاية، الفتى المسكين، نظر طويلاً إلى الحجر الأسود.

قفز قلبي بين أضلُعي، لكنني أخفيت اهتمامي الشديد وقلت وكأني غير مُهتم:

- سمعت عن هذا الحجر الأسود، هو هنا في مكانٍ ما بالقرب من هذه القرية، أليس كذلك؟

- أقرب إلينا من الأماني المسيحية، أنظر.

وجذبني إلى نافذة تُغطيها شبكة معدنية رفيعة وأشار إلى المُنحدرات المكسوة بشجر الشوح المُحيطة بالجبال الزرقاء:

- هناك، خلف أخر ما تراه تجد الجُرف البارز حيث ينتصب الحجر الملعون، ربما حاول البعض سحق الحجر إلى رمادٍ ليذروه في نهر الدانوب ومنه إلى أعمق أعماق المُحيط! أعرف أن رجالًا حاولوا تدمير هذا الشيء لكن كل من رفع مطرقته أو هجم ضده الحجر ختم حياته بنهاية شريرة، لذا يتجنبه الناس الآن.

سألته بفضول:

- ما الشرير في الأمر لهذا الحد؟

فأجاب وهو يُحاول إخفاء ارتجافه بصعوبة:

- هذا الشيء يسكنه شيطان، عرفت شابًا في طفولتي جاء من أسفل التل ليسخر من تقاليدنا، وبتهورٍ سخيف ذهب إلى الحجر في ليلة عيد منتصف الصيف، ثم عاد فجرًا

إلى القرية مرة أخرى وهو غاضب وعقله مُختل، هُناك ما حطم دماغه وأحكم إغلاق شفتيه فلا يتحدث إلا عن التجديفات الرهيبة ورغي مليء باللعاب، وظل على حاله تلك حتى يوم وفاته الذي جاء بعد فترة وجيزة، ابن أخي نفسه تاه وهو في الرابعة وسط الجبال ونام في الغابة بالقُرب من الحجر، والآن وهو في الثلاثين من عمره يتعرض للتعذيب ليلًا بأحلامٍ كريهة لدرجة أنه يجعل الليل أحيانًا قبيحًا لا يُطاق بسبب بصراخه، ولا يستيقظ إلا وهو غارقٌ في العرق البارد. دعنا نتحدث عن شيء آخر سيدي الهر، فتلك أمور لا يطيب لي أن نتحدث عنها.

وافقته على مضض وأخذت أتطلع إلى جدران النُزل وسقفه، دليلٌ واضح على قدم المكان، سألته عن الأمر فقال:

- أساس المبنى وُضع منذ أكثر من أربعمائة سنة، المنزل الأصلي هو المبنى الوحيد الناجي من الحرق أثناء اجتياح شياطين سُليمان للجبال، ويُقال أن المؤرخ التركي سليم باهادور أقام هنا بينما يعمل على إتلاف البلاد في ناحيتنا هذه.

عرفت حينها أن السكان الحاليين في ستريجويكافار ليسوا أحفادًا لسُكان القرية الأصليين فيما قبل الغارة التركية عام 1526، لم يترك المسلمون المنتصرون أي أحياء في القرية أو في المنطقة المجاورة ، قضوا على الرجال والنساء والأطفال في محرقة حمراء واحدة، تاركين خلفهم مساحة

شاسعة صامتة ومهجورة تمامًا، سُكان ستريجويكافار الحاليين جائوا إليها من الوديان المنخفضة المُحيطة بعدما تراجع الأتراك، العجيب أن مضيفي لم يتحدث باستياء أو مرارة عن إبادة سُكان القرية الأصليين، وعلمت أن أسلافه القادمين من الوديان المُنخفضة كانوا يكرهون وينفرون من ساكني التل أكثر مما يكرهون الأتراك، لكن أسباب هذا النفور ليست واضحة حسبما فهمت، قال أن سُكان ستريجويكافار الأصليين اعتادوا على الإغارة خلسة على الأراضي المُنخفضة واختطاف الفتيات والأطفال، وقال أن السُكان الأصليين ليسوا من تفس سلالة دم شعبه بالضبط، فحسب وصفه اختلطت السلالة المجرية-السلافية الأصيلة والمتينة وتزاوجت مع عرقٍ بدائي مُنحط فاندمجا معًا ليُنتجا تملغمًا بغيضًا، من أين أتوا؟ هو لا يعرف إطلاقًا، لكنه قال أنهم وثنيون سكنوا الجبال منذ زمنٍ بعيد، بعيد جدًا.

لم أُعِر اهتمامًا لهذه الحكاية، ظننتها مُجرد قصة موازية لاندماج القبائل السلتية مع السُكان الأصليين لتلال جالواي ونتج عن ذلك البكتيون أصحاب الأدوار المُكثفة في الأساطير الاسكتلندية، للزمن تأثير تقصير مُبالغ فيه على الأحداث القديمة والفلكلور، وكما تشابكت حكايات البكتيين مع أساطير سُلالة منغولية مشوهة أقدم منهم إلى أن نسب إليهم المُعاصرين مظهراً مُنفراً للبدائيين المُقرفصين على الدوام في سكونهم وحركاتهم، والذين ظهروا فعليًا في

الأساطير، وبهذا نُسيت واختفت حقيقة البكتيين، ولهذا أحسست أن الخصال غير البشرية لسُكان ستريجويكافار اللأصليين يُمكن تتبعها إلى عرقٍ قديم تسبق أساطيره أحداث غزو المغول والهون.

في الصباح التالي فهمت اتجاهات الطريق إلى الحجر الأسود من صاحب النزل، وانطلقت إليه، وبعد ساعات من المشي على قدميّ عبر أشجار الشوح وصلت إلى الحافة الصخرية الوعرة البارزة ببرود ووقاحة من تلك الناحية الجبلية، وينتهي المجال بممرٍ ضيقٍ، فمشيت فيه، ونظرت أسفل مني إلى وادي ستريجويكافار المُسالم، تحرسه الجبال الزرقاء من الجانبين، وتسري فوقه غيامة من الكسل والنُعاس، لم أرَ أي أكواخٍ أو علامات على وجودٍ بشري بين الجُرف والقرية، رأيت عدة مزارع بالأسفل لكنها على الجانب الأخر من ستريجويكافار لا في القرية نفسها، التي يبدو أنها تتقلص بفعل المُنحدرات الكئيبة التي تُخفي الحجر، بعد تجاوز المنحدرات وصلت للقمة المُشجرة بكثافة، فسرتُ عبر الأشجار لمسافة قصيرة لتنفرج الغابة من أمامي وأرى في وسطها الحجر الأسود الرفيع.

كان الحجر ثُماني الأضلاع، طوله 16 عشر قدمًا تقريبًا وسمكه قدم ونصف، أعرف أنه كان لامعًا للغاية في زمنٍ ما حسبما قرأت، لكنه تظهر عليه الآن أثارِ لفواتٍ واضحة لتدل على بذل جهودٍ شرسة لهدمه، لكن المطارق المُستخدمة لم تنجح سوى في إزالة قطع صخرية صغيرة

وتشويه الشكل العام للحجر وإزالة الحروف والأشكال المكتوبة عليه التي تتصاعد إلى أعلى الحجر بطريقة لولبية، كل الحروف من أسفل الحجر إلى حدود عشرة أقدام بالأعلى نُسفت تمامًا، أما بالأعلى فكانوا أكثر وضوحًا، حاولت التسلق بالأعلى قدر المُستطاع لأبحث في أمر الحروف عن قرب، كلها رموز وأشكال مشوهة ولا تقترب من حروف أي لغة أعرفها، لديّ خبرة معقولة باللغات التي تستخدم الأشكال كحروف مثل الهيروغليفية مثلًا، وأؤكد أن هذه أشكال فريدة حسب معرفتي، تذكرت رؤيتي لصخرة عملاقة طبيعية مُتماثلة الأضلاع بغرابة في وادي يوكاتان المنسي، وعليها خدوش وشخبطات قريبة لما على الحجر الأسود، أتذكر أني أشرت إلى تلك العلامات ونبهت عالم الآثار المُصاحب لي فقال إنها إما علامات تعرية جوية أو ربما شخبطات هندية لا معنى لها، فأخبرته بنظريتي أن هذه الصخرة هي في الأساس قاعدة لعمودٍ صخري طويل مُختفي، فضحك ولفت انتباهي إلى أبعادها ثم قال أن هذا البناء لو خضع لأي قواعد بناء تناظري طبيعية فسيتجاوز طول العمود ألف قدم في السماء، ولم أقتنع بما قاله بالطبع.

لن أقول أن الأشكال المحفورة على الحجر الأسود وحجر يوكاتان العملاق مُتماثلان، ولكن مادة الحجرين قريبتين جدًا من بعضهما، هذا محير، تلك المادة الصلبة السوداء، المصقولة اللامعة، مما يخلق إيهامًا غريبًا بكونها شبه شفافة.

قضيت أغلب النهار هُنالك، أحُاول ربط الحجر الأسود بأي معلومة أتذكرها، يبدو الأمر وكأن أيادٍ فضائية هي من نصبت الحجر في عصرٍ موغل في القدم بعيد عن أنظار البشر.

عُدت إلى القرية يُلازمني الفضول، وبما أني رأيت الشيء المُثير استمرت رغبتي في مزيد من التحقيق في الأمر والسعي لمعرفة كنه الأيدي الغريبة التي وضعت الحجر الأسود هنا لسبب مُحدد مجهول.

بحثت عن ابن أخ صاحب الحانة وسألته عن أحلامه، لكنه لم يكُن واضحًا رغم راغبته في التعاون معي ومُناقشة ما يراه، لم يستطع وصف المشاهد بوضوح، المهم أنه يرى نفس الأحلام مرارًا وتكرارًا، ورغم أنها تبدو حية للغاية وبشكل مخيف إلا أنها لا تترك أي انطباع أو ذكرى واضحة عند استيقاظه، ولا يتذكر إلا أنها كوابيس فوضوية تُطلق فيها دوامات نارية ضخمة ألسنة من اللهب الأسود ويسمع طبلة تُضرب باستمرار، شيء واحد فقط يتذكره بوضوح وهو رؤيته للحجر الأسود في أحد الأحلام، لكن ليس فوق مُنحدرٍ جبليٍ، بل على شكل برج مُستدق فوق قلعة سوداء ضخمة.

وجدت أن بقية القرويين لا يرغبون في التحدث عن الحجر، باستثناء مدير المدرسة، وهو رجل فاجئني بمستواه التعليمي، ويبدو أنه قضى وقتًا طويلاً في العالم الخارجي أكثر من سُكان القرية كلهم.

اهتم جدًا بما أخبرته من ملاحظات فون يونزت عن الحجر، واتفق بحماس مع المؤلف الألماني في نقطة العمر المزعوم له، وكان يعتقد أن تجمعًا للسحرة وُجد في الجوار وربما انتمى جميع أهل القرية الأصليين لطائفة عُباد الخصوبة التي هددت ذات مرة بإضعاف أساسات الحضارة الأوروبية ونشروا حكايات السحر والساحرات، واستشهد باسم القرية نفسه لإثبات وجهة نظره، وقال إنه لم يكُن ستريجويكافار في الأصل، فوفقًا للأساطير أطلق عليها بُناتها اسم (زوثلتان) وهو اسم الموقع الأصلي الذي بنيت عليه القرية منذ عدة قرون.

أثارت هذه الحقيقة شعورًا بعدم الارتياح لا أستطيع وصفه، لأن وقع الاسم البربري لا يوحي بأي ارتباطٍ مع السلافيين أو المنغوليين أو السكوثيين وهي الأعراق التي يُحتمل أن ينتمي إليهم هؤلاء السكان الأصليين القُدامى القادمين من الجبال في ظل ظروفٍ طبيعية.

اعتقد المجريين والسلاف في الوديان المُنخفضة أن سُكان القرية الأصليين كانوا أعضاء في طائفة من السحرة، أكد مُدير المدرسة على هذا بوضوح، وأكد أن الاسم القديم استمر استخدامه حتى بعدما ذبح الأتراك المستوطنون الأكبر سنًا، ومن ثم أُعيد بناء القرية على يد سُلالة أكثر طهارة وصحة.

لا يظن أن أعضاء الطائفة هم من نصبوا الحجر ولكنهم

استخدموها بالتأكيد كمركز لأنشطتهم، وبالتالي تتكرر الأساطير الغامضة التي تتناقل مُنذ ما قبل الغزو التركي، وشرح لي نظرية تقول بأن ذاك العرق المُنحط استخدم الحجر كمذبح من نوع يقدمون عنده الأُضحيات البشرية من الفتيات والأطفال، يختطفونهم من أسلافهم في الوديان المُنخفضة، وقلل من أهمية الأساطير عن أحداث غريبة في ليلةِ عيد مُنتصف الصيف، بالإضافة إلى أسطورة غريبة ومشهورة عن إله عبده السحرة في زوثلتان، يستحضرونه بالترانيم والطقوس الوحشية وجَلد وذبح البشر.

وقال إنه لم يزر الحجر قط في ليلة منتصف الصيف وإن كان لا يخشى فعل ذلك؛ فأيًا ما كان موجودًا أو حدث هنا فقد حدث في الماضي وابتلعه ضباب الزمان والنسيان، وفقد الحجر الأسود معناه باستثناء ارتباطه بماضٍ غابرٍ ميت.

(2)

اليوم ليلة مُنتصف الصيف! اليوم الذي ربطت فيه الأساطير حوادث رهيبة بالحجر الأسود، قضيت في القرية أسبوعًا ترددت فيه على مُدير المدرسة، وكنت خارجًا من عنده للتو حين عقدت العزم على تجنُب الحانة والخروج من القرية الصامتة، فأهلها ينامون مُبكرًا، ولم أر أحدًا بالجوار، صعدت إلى أشجار الشوح التي تُغطى المُنحدرات الجبلية بظلامٍ يهمس، وقمر فضي عريض الاستدارة عالق فوق الوادي ليغمر الصخور والمُنحدرات بضوءه الغريب، ينقش على الظلال سواده المهيب، الأشجار تمنع أي أثرٍ للرياح لكن هناك همسات مسروقة غاضبة لا أعلم من أين تأتي، لا بد أنها بقايا عالقة من ذكريات المكان في الليالي الشنيعة في القرون الماضية، وهُنا يعمل خيالي الخصب غريب الأطوار، هنا حلقت المكانس المسحورة ومن فوقها السحرة العُراة ليطوفوا عبر الوادي يُطارهم رفاقهم من الشياطين الساخرة.

نفضت تلك الأفكار والتخيلات من عقلي، سأخذ في الاعتبار غرابة المكان وسمعته الخبيثة، شققت طريقي عبر الغابة، شعرت أن هُناك من يُراقبني لكن دون أن أُثبت ذلك، وصلت إلى المنطقة الخالية ورأيت المُنحدر الطويل ومن فوقه الحجر، نظرت في ساعة يدي وعرفت أن منتصف الليل يقترب، فانحنيت للخلف وجلست أنتظر أي مشهدٍ شبحيٍ يُحتمل ظهوره، هبت رياحٌ ليلية رقيقة من

بين فروع الأشجار مع استمرار تلك الهمسات الخافتة غير المحسوسة بشكلٍ فعلي، هذا لحنٌ رتيب ذو شجن، الهمس المتواصل والتحديق المستمر في الحجر أثرا في ذهني بنوعٍ من التنويم المغناطيسي الذاتي، فأصابني النُعاس، قاومت هذا الشعور ولكنه اختطفني رغمًا عني، ومن بعيد رأيت الحجر المُنتصب يتمايل ويرقص، وبدا مشوهًا في نظرتي.

ثم نمت.

وبعدما فتحت عينيّ حاولت النهوض، لم أقدر فظللت مُستلقيًا، وكأن يدًا باردة مُخيفة أمسكت بي فنزعت مني الحول والقوة، واكتشفت أن الخلاء أمامي لم يعُد مهجورًا، إذ تجمهر حشدٌ بشري صامت وغريب، حدقت عينايّ المُنتفختان في تفاصيل أزيائهم الهمجية القديمة، المنسية حتى في مثل هذه الأراضي المتخلفة عن ركب الحضارة، اعتقدت بالطبع أن هؤلاء قرويون أتوا إلى هنا ليجتمعوا في سرية، لكن نظرة مُتفحصة أخرى أوحت لي أن هؤلاء الناس ليسوا من أهل ستريجويكافار الذين أعرفهم!

كانوا أقصر، يسيرون القرفصاء جميعًا، حواجبهم مُنخفضة تكاد تُخفي أعينهم، وجوههم وأجبنتهم واسعة وباهتة اللون، لبعضهم سمات وجوه سلافية أو مجرية لكنها ممتزجة مع صفات بعض السلالات المُنحطة الغريبة لم أستطع تمييزها، أرتدى الكثيرون منهم جلود البهائم البرية، واكتسى مظهرهم، رجالًا ونساءً، بالفظاظة الملموسة الظاهرة، أرعبوني ونفروني منهم، لكنهم لم يأبهوا لي.

تجمعوا في نصف دائرة ضخمة أمام الحجر وبدأوا يترنمون، رفعوا أذرعهم في انسجام وتمايلت أجسادهم بإيقاعٍ يبدأ من الخصر ويصعد إلى أعلى، كل العيون مُثبتة على قمة الحجر، وكأنهم يتوسلون إليه، أغرب ما في الأمر كانت أصواتهم؛ مُعتمة كغُرفٍ ذات إضاءة باهتة، وعلى بعد خمسين ياردة رأيت مئات الرجال والنساء يرفعون أصواتهم بترانيم جامحة بوضوح، لكن الأصوات وصلت إلى أُذنيّ كهمهمات خافتة لا يُمكن تمييزها، وكأنها اخترقت فراسخ طويلة من بحار الفضاء أو الزمن.

ومن أمام الحجر هُناك مجمرة يتصاعد منها دخان أصفر قذر مُثير للغثيان بمنظره ورائحته، يتعرج كدوامة حول العمود الأسود مثل ثعبانٍ ضخمٍ غير مُستقر، وبجوار المجمرة الساخنة هناك شخصين؛ فتاة شابة عارية ومُقيدة اليدين والقدمين، وطفلٌ رضيع على ما يبدو، يبلغ بضعة أشهر فحسب، وعلى الجانب المُقابل تجلس القرفصاء سيدة عجوز شمطاء وعلى حجرها طبلة سوداء شكلها غريب؛ تضرب على الطبلة ضربات خفيفة بكفيها المفتوحتين، لكنني لم أتمكن من سماع أي صوت.

تسارع إيقاع الأجساد المتمايلة، وفي المساحة الفارغة بين التجمهر والحجر ظهرت امرأة شابة عارية، عيناها مُتقدان بنيرانٍ واضحة ويتطاير شعرها الأسود الطويل، تدور حول نفسها وعلى أطراف أصابعها حد الدوار المؤكد، دارت في المساحة الخالية لمرة ثم سجدت أمام الحجر ورقدت هكذا

بلا حراك، وفي اللحظة التالية تبعها رجل يُعلق على وسطه رداء من جلد الماعز، وملامح وجهه مخفية بقناعٍ عبارة عن رأسِ ذئبٍ ضخم، فبدا ككائنٍ متوحشٍ كابوسي مُركب من عناصر بشرية وحيوانية مُرعبة، يُمسك بمجموعة من المفاتيح الطويلة المصنوعة من خشب الشوح، مُرتبطة ببعضها من أطرافها الطويلة، ويتلألأ ضوء القمر على سلسلة ذهبية ثقيلة مُلتفة حول رقبته.

ألقى الناس بأذرعهم المرفوعة أرضًا في عنف، ويبدو أنهم ضاعفوا صيحاتهم بينما يندفع هذا المخلوق البشع عبر الخلاء وهو يتقافز قفزاتٍ مُذهلة، ثم وصل إلى المرأة الساجدة أمام الحجر، ضربها بالمفاتيح التي يحملها، فقفزت ودارت في البرية وأدت أروع رقصة رأيتها في حياتي، ورقص ضاربها ومُعذبها معها، مُحافظًا على إيقاعها الجامح ومُطابقًا لكل استدارة وقفزة، بينما يُمطر جسدها العاري بضرباتٍ قاسية، ومع كل ضربة يهتف بكلمة واحدة يُكررها مرارًا فيرددها خلفه الجميع، لم أسمع شيئًا لكني رأيت شفاههم تتحرك بنفس الطريقة، فتندمج همهماتهم البعيدة في صيحة واحدة بعيدة تتكرر بدورها في نشوة تتلألأ مع عقد الرجل الذهبي وكذا ضوء القمر الخافت، لكن ما هي تلك الكلمة الواحدة، لا أعرف.

دار الراقصون الهمجيون في دوامات أصابتني بالدوار، بينما يقف المشاهدون في أماكنهم يُتابعون إيقاع الرقصات والتمايل، تسارعت الحركات والرقصات بجنون وانعكس

هذا الجنون في عيون المُشاهدين، وتحولت الدوامة إلى وحشية وفُحش وإسراف في الرقص، المُسِن تقرع الطبلة بجنونٍ مُخيف وأصدرت المفاتيح نغمات شيطانية غطت على المشهد بأكمله، نزفت الراقصة من جروحٍ يبدو أنها لا تشعر بها، يبدو أن الجلد مجرد محفز لها كي تؤدي المزيد من الرقص، ووسط كل هذا انتعش الدخان الأصفر وغلف أقرب الناس للحجر، وظهرت مجسات تُخفيها غشاوة الضباب لتحتضن البشريين المُقيدين، وبدا كأن الراقصة تندمج مع ذلك الضباب القذر فتنحجب عن ناظري مع المجسات، ثم ظهرت لمرأى الجميع وتبعها عن قرب المتوحش الذي يجلدها، فانطلقت في انفجار لا يُوصف من حركاتٍ مجنونة فائقة الديناميكية، وفي ذروة ذلك الجنون سقطت فجأة على الأرض العشبية، ترتجف وتلهث وقد نفذت طاقتها بالكُلية، لكن الجلد استمر بلا هوادة، فأخذت تتلوى وتزحف على بطنها نحو الحجر، تاركة أثرًا من دمٍ كثيف يتبعها الكاهن -إن صحت تسميته بذلك- فلا يتوقف عما يفعله، وحين وصلت إلى الحجر وهي تلهث، أحاطته بذراعيها واحتضنته بقوة، وغمرته بقُبلات ساخنة شديدة كحال أي عاشقة مسعورة آثمة.

رأيت الكاهن يرتفع عن الأرض ويتعلق في الهواء، وألقى المفاتيح التي تلونت بلون الدم أرضًا، أما الراقصون المُصلون فأخذوا يعوون ويزبدون ونظروا إلى بعضهم البعض، وكشروا عن أسنانهم وأظهروا أظافرهم، ومزق

كلُ واحدٍ منهم ثياب الأخر ولحمه في شغفٍ بهيمي.

أحاط الكاهن بجسد الرضيع وحمله بذراعٍ واحد، وصرخ مرة أخرى بنفس الكلمة، ورفع الطفل في الهواء ثم قذفه بعنف نحو الحجر ليحطم رأسه الصغير! وترك وصمة عار مروعة على الحجر الأسود.

رأيته يشق الجسد الصغير بلا شفقة بيديه العاريتين المتوحشتين، ويقذف حفنات من الدم على العمود، ثم يُلقي بالجثة في المجمرة لينطفئ اللهب والدخان ويتحول اللون إلى القرمزي، بينما تعوي الوحوش المجنونة خلفه مُرددين الاسم، ثم سقطوا جميعًا ساجدين فجأة، يتلوون أرضًا كما الأفاعي، ورفع الكاهن يديه الدمويتين باتساعهما وكأنه حقق نصر حياته.

صرخت لأول مرة، أسبُهم وأبغضهم، لكن ما خرج كان صوت حشرجة جافة؛ إذ رأيت شيئًا ضخمًا يُشبه الضفدع يجلس القرفصاء على الجزء العلوي من الحجر! جسده المُنتفخ والمثير للاشمئزاز يتموج بغير استقرار أمام عينيّ بفعل ضوء القمر الباهت، ورأيت في موضع ما يجب أن يكون وجهًا عينين ضخمتين تعكسان كل معاني الشهوة والجشع الأبدي والقسوة الفاحشة التي تُطارد البشر منذ أن ظهر أسلافهم، وانعكست كل الأسرار الدنيئة التي تنام في المدن الغارقة تحت البحار، والتي تتسلل من ضوء النهار إلى سواد ومجاهل الكهوف البدائية.

وهكذا، أثارت الدماء والطقوس السادية القاسية ظهور ذلك الشيء المروع من وسط التلال الصامتة، تلا ذلك تراجع عُباده وتذللهم أمامه، هنا رفع الكاهن المُقنع بوجه ذئب الفتاة المُقيدة وهي تتلوى ببطء، وقدمها بين يديه إلى الوحش على قمة الحجر، وبينما يمتص الوحش أنفاس الفتاة بشهوة حارة، أحسست بشيء ينفجر في عقلي، ففقدت وعيي دون إنذارٍ سابقٍ.

فتحت عينيّ والفجر ينبزغ، واجتاحت كل أحداث الليل السابقة عقلي، لكني اكتشفت أني وحيد مع الحجر الأسود، يتأرجح أمامي بسبب مشاكل في رؤيتي وصفاء ذهني غالبًا، صامتٌ فوق المروج الخضراء الصافية من أي دنس، تحركت بخطواتٍ سريعة إلى المساحة الخالية، هُنا تقافز الراقصون يقفزون وهُنا قيدوا الفتاة والرضيع وهنا رقدت الراقصة على الأرض لتزحف نحو الحجر، لكني لم أرّ أي قطرة دماء جافة على العُشب، وهنا موضع ارتطام الرضيع بالحجر، ولا أثر لأي دماء كذلك.

حلم! كابوسٌ جامح، هززت كتفيّ غيرُ راضٍ، يا له من وضوح لما قد يكون حُلمًا!

عدت بهدوء إلى القرية ودخلت النُزُل دون أن يراني أحد، تأملت في أحداث الليلة الغريبة، وكدت أتخلى عن نظرية الحلم وأن ما رأيته هو وهم دون أدلة مادية على وقوعه، لكن هُناك في عقلي ما يظن أن ما رأيته هو انعكاس لفعلٍ وحشي اُرتكب في الواقع المريع في الأيام

الماضية، لكن كيف أعرف الحقيقة؟ ما الدليل على أن ما رأيته كان تجمعًا لأشباح كريهة وليس كابوسًا اختلقه عقلي؟

ثم تذكرت من بيده الحل غالبًا، والمشكلة أنه ميت؛ سليم باهادور.

ومض اسمه في ذهني، فوفقًا للأسطورة، هذا الرجل كان جنديًا ومؤرخًا، وقاد فرقة من جيش سُليمان القانوني دمرت في طريقها ستريجويكافار، يبدو هذا منطقيًا، فإذا مر عبر هذا الريف إلى ساحة المعركة الدموية في شومفال ومن ثم إلى هلاكه، فلا بد أن المخطوطة التي أُخذت من جثمانه والتي ارتعد الكونت بوريس حينما قرأها تحتوي على بعض ما وجده الأتراك في ستريجويكافار، خرجت الكلمات مني كأنها صرخات، ماذا وجد الفاتحون في ستريجويكافار؟ ماذا قد يهز أعصاب البطل البولندي الحديدية؟

وبما أن عظام الكونت لم تُسترد من تحت رُكام القلعة القديمة أبدًا، فلا بد أن الحقيبة السوداء اللامعة ومحتوياتها الغامضة لا تزال هناك مدفونة تحت الأنقاض التي غطت بوريس فلادينوف.

قمت لأجهز حقيبتي مُتعجلًا.

وجدت نفسي بعد ثلاثة أيام مُستقرًا في قرية صغيرة على بُعد عدة أميال من ساحة المعركة القديمة، وعندما

انتصف الليل وظهر القمر بجلاله كنت أعمل بوحشية عجيبة على انتشال كومة كبيرة من الحجارة المُتداعية المتوجة للتل، كانت مهمة تكسر الظهر بسهولة ولا أعرف كيف استطعت إنجازها رغم أني عملت دون توقف منذ طلوع القمر إلى بزوغ الفجر والشمس تطلع في دقائقها الأولى، ومع انتزاع آخر مجموعة متشابكة من الحجارة، نظرت إلى ما تبقى من رُفات الكونت بوريس فلاديتوف؛ بضعة شظايا بائسة من عظامٍ مُتفتتة، ووسطهم رأيت الحقيبة التي منعها طلائها الأسود من التحلل الكامل بمرور القرون.

قبضت عليها بلهفة شديدة، وفررت على الفور ولم أهتم بنظرات القرويين المُتحفظين لي أثناء انتهاكاتي الواضحة لبقايا جثث قديمة.

وفي غرفتي فتحت الحقيبة لأجد المخطوطة سليمة نسبيًا؛ ووجدت شيئًا آخر بداخلها؛ تمثالٌ صغيرٌ لكيانٍ يجلس القرفصاء ملفوف بغشاءٍ حريري، المهم أني مُتعطش لسبر أغوار وإفشاء أسرار تلك الصفحات المُصفرة، لكن الإرهاق تملك مني إذ لم أنم على الإطلاق منذ مغادرتي ستريجويكافار، وتكالبت عليّ مجهودات الليلة السابقة فاضُطررت رغمًا عني إلى التمدد على سريري، فلم أستيقظ حتى غربت الشمس.

تناولتُ وجبة عشاء سريعة، ثم وفي ضوء شمعة وحيدة مُضطربة بدأت أقرأ الحروف التركية المكتوبة بخطٍ أنيق التي تملأ المخطوطة، كانت مهمة شاقة لأني لستُ على دراية

كاملة باللغة التركية وأساليب الكتابة والسرد القديم، هذا مُحير، ولكن بينما أُترجم كلمة هنا وأفهم عبارة هناك قفز رعبٌ مُتزايد إلى قلبي، وأخذ يُحكم قبضته عليّ، ركزت كل طاقاتي الذهنية لإتمام المهمة، وعندما أصبحت الحكاية أكثر وضوحًا كادت تتجمد دمائي في عروقي، وانتصب شعري واقفًا من هول ما أقرأ، وتدلى لساني خارجًا بشكلٍ حرفي.

كل الموجودات الخارجية شاركت في تكوين الجنون المريع المُحيط بمن يقرأ تلك المخطوطة الجهنمية؛ عزيف حشرات الليل وهمهمات مخلوقات الغابة وتسلل الغيلان المُرعبة وتنهد ريح الظُلمات، وفي مجموع الأمر تسمع ضحكة شامتة فاحشة تطغى على أرواح كل بني البشر.

وعندما تسلل الفجر الرمادي عبر شِباك النافذة، وضعت المخطوطة جانبًا وأمسكت بالشيء الملفوف في الحرير وحررته، وحدقت فيه بعيونٍ كالصقر فعلمت أن حقيقة الأمر محسومة، ولو كان الشك مُحتملًا في صحة محتويات تلك المخطوطة الرهيبة.

قمت باستبدال كل الأشياء الفاجرة في الحقيبة، ولم أسترح أو أنام أو آكل حتى ملأتها بالحجارة وقذفتها في أعماقِ نهر الدانوب، وأرجو أن يُعيدهم الرب إلى الجحيم الذي أتوا منه.

ما رأيته في ليلة مُنتصف الصيف في تلال ستريجويكافار

لم يكُن حُلمًا، وهذا بالتأكيد ما رأه جاستن جوفري وما خرب عليه عقله، أما كيف تحمل عقلي ما رأيت؟ لا أعرف.

لا، لم يكُن حُلمًا، تأملت في هزيمة من ماتوا في المعارك منذ زمنٍ بعيد، ومن أتوا من الجحيم لتأدية طقوس عبادة شنيعة؛ أشباحٌ تنحنى أمام شبح، لأن الجحيم امتلك إلههم الضفدع البشع وهو يسكن التلال منذ أزمانٍ طويلة، والأدلة هي أحداث تُدمر العقول وقعت منذ عصور بالية، لكن مخالبه الفاحشة لن تُسيطر على أرواح الأحياء بعد الآن، لأن مملكته ميتة، يسكنها أشباح من خدموه في عصره.

بأي وسائل خيميائية كريهة وشعوذات مُلحدة فُتحت أبواب الجحيم في تلك الليلة المظلمة؟ لا أعرف ولكني رأيت ما رأيت وقرأت وعرفت ما عرفت، وأعرف أن كل من رأيتهم كانوا أمواتًا، هذا ما كُتب في مخطوطة سليم باهادور الذي روى مُطولًا ما وجده هو والمُغيرين معه على وادي ستريجويكافار، وقرأت بالتفصيل عن الفواحش الكافرة التي انتزعها التعذيب من أفواه المُصلين الصارخين، وقرأت أيضًا عن الكهف الأسود الكئيب الضائع في أعالي التلال حيث أحاط الأتراك يُغلفهم الرعب بكائنٍ يُشبه ضُفدعًا مُنتفخًا ومُتمرغًا في الدماء والملذات، قتلوه باللهب والفولاذ العتيق الذي باركه النبي مُحمد في العصور القديمة، مع تعويذات قديمة قِدم عُمر الجزيرة العربية

نفسها، ويبدو أن يد سليم القوية اهتزت بشدة وهو يُسجل صيحات الكائن الكارثية، يهز الأرض وهو يموت، وأخذ معه نصف عدد قاتليه، وبطرقٍ لم يستطع سليم وصفها أو لم يُرد ذلك.

الصنم الجالس القرفصاء المنحوت من الذهب والملفوف بالحرير الموجود في الحقيبة السوداء هو صورة لذاك الإله الجحيمي، وقد انتزعه سليم من السلسلة الذهبية التي كانت تُحيط برقبة رئيس الكهنة المقتول.

فعل الأتراك حُسنًا إذ اكتسحوا ونظفوا ذلك الوادي الفاسد بالمشاعل والفولاذ! تلك المشاهدات لا تنتمي إلى الجبال والريف المليء بالحيوية، بل إلى ظلام وهاوية الدهور الضائعة، لا، ليس الخوف من الضفدع هو ما يجعلني أرتجف ليلًا، لقد شق طريقه إلى الجحيم بسرعه مع حشده المتوحش، ولا يُطلق سراحه إلا لساعة واحدة في أكثر ليالي العام غرابة، لكن في الحقيقة لم يبقَ منهم أحد.

ما يُخيفني هو حقيقة إدراك أن مثل تلك الأشياء كانت موجودة، وتسلطت على أرواح الرجال، وأخشى أن أُطالع وأُدقق مرة أخرى في أوراق ورجس فون يونزت في الوقت الحالي.

الآن أفهم تحدثه المتكرر عن المفاتيح! مفاتيح لأبوابٍ خارجية، وروابط مع ماضٍ بغيضٍ، ومن يدري؟ ربما ترتبط بمناطق مُعاصرة بغيضة، وأفهم لماذا يرى من ينامون

بالقرب من الحجر كوابيسًا، وما رأه ابن أخت صاحب النزل في حلمه، وإذا قام الرجال يومًا بالتنقيب بين تلك الجبال فسيجدون أشياء جنونية أسفل تلك المُنحدرات.

وبالنسبة للكهف الذي قال سليم أنهم احتجزوا الكائن فيه فلا أظن أنه كان كهفًا أصلًا، وأفكر وأنا أرتجف أن خليج الدهور الهائل الذي يمتد بين عصرنا هذا والوقت الذي اهتزت فيه الأرض وترعرعت كمثل موجة في عصرٍ جيولوجي سحيق، ونبتت تلك الجبال الزرقاء المرتفعة لتُحيط بأشياء لا يمكن تصورها، فيظهر كهفٌ وهو ليس بكهفٍ، وذلك العمود أو البرج المُستدق الذي يسمونه الحجر الأسود.

مفتاح! نعم، إنه مفتاح، رمز للرعب المنسي، هذا الرعب تلاشى إلى طي النسيان الذي زحف منه إلينا ببغضه في أيام فجر الأرض، لكن ماذا عن الاحتمالات الشيطانية الأخرى التي ألمح إليها فون يونزت؟ ماذا عن اليد الوحشية التي خنقته وأنهت حياته؟ منذ أن قرأت ما كتبه سليم باهادور لا أشك أبدًا في صدق محتويات الكتاب الأسود.

لم يكن الإنسان سيد الأرض على الدوام. وهل هو الآن سيد الأرض؟

ثم فكر معي، لو أن هذا الوحش نجا لكل هذه العصور قبل فناءه على يد الأتراك، فتُرى.. أي أشكالٍ مجهولة تُذهب العقل نجت من لقاءنا وتكمن الآن في الأركان

المُظلمة من عالمنا؟

عن حجر روبرت هوارد الأسود

يقول الناقدان روبرت واينبرج واي. ب. بيرجلوند في كتابهما (دليل القارئ إلى أساطير كتولو) الصادر عام 1973 أن قصة الحجر الأسود هي أفضل قصة ضمن الأساطير لم يكتبها لافكرافت بنفسه، وأنا مُتفق مع هعذا الرأي.

تُمثل القصة أول ظهور للكتاب الألماني Unaussprechlichen Kulten وترجمته طوائف لا اسم لها، وهو كتاب تخيُلي من تأليف فريدريش فون يونزت، واستخدم لافكرافت الكتاب عدة مرات بعد ذلك، ظهر الكتاب في قصة (أبناء الليل) لهوارد والمنشورة في نفس عام نشر قصة الحجر الأسود عام 1931 ولكن باسمه الإنجليزي Nameless Cults، وطلب لافكرافت من أوجست ديرليث ترجمة الاسم إلى الألمانية لإضافة صبغة من المصداقية.

ومن الطرائف فكرة استخدام الاسم فردريتش، ففي قصة غير منشورة وقتها- جنون لوسيان جراي- سمى روبرت بلوخ الكاتب باسم كونراد، وهو ما انتقده لافكرافت والسبب أنه سمى الشخصية فريدريتش في قصة كتبها بطريقة (الكاتب الشبح) لكاتب أخر لم نعرفه حتى الآن، أما الظهور الأول للاسم فريدريتش فكانت في مذكرة أخيرة زائفة كتبها لافكرافت وأرسلها لبلوخ،

وهي وسيلة ذكية ليُعلمه بموافقته على الظهور في قصة بلوخ (المُترنح الأتي من النجوم) ومن ثم قتله كما حدث في القصة فعلًا، يُمكن الإطلاع على ترجمة القصة في كتاب (الساكن في الظلام).

وبالحديث عن طريقة موت فون يونزت نجد أنها تتشابه جدًا مع قصة موت عبد الله الحظرد حسب كلام المؤرخ الأندلسي بن خلقان- هكذا يقول لافكرافت في قصة تاريخ النيكرونوميكون، لكني لم أجد دليلًا على زعمه هذا في كتب بن خلقان- وهناك ميتة شبيهة بعض الشيء تحدث للافكرافت أثناء ظهوره في قصة المُترنح الأتي من النجوم.

لا نعرف الكثير عن راوي القصة، سوى أنه مُثقف جدًا ويعرف معلومات مُكثفة في التاريخ واللغات والأنثروبولوجي والأساطير، وكذلك الفنون الغريبة الخارقة للطبيعة، أما ذوقه الشعري فغريبٌ كئيب كما هو حال جوفري ولافكرافت نفسه.

نستعرض كذلك ذكر الشاعر المجنون جاستن جوفري، والذي ظهر في قصة (الشيء عند عتبة الباب) للافكرافت، ويظهر كصديق لبطل القصة إدوارد ديربي، وذُكر في النص أنه مات صارخًا في مستشفى مجانين عام 1926 بعد زيارته لقرية شريرة في المجر، ما يعني أن لافكرافت هو من اختلق حقيقة وتاريخ جوفري لا روبرت هوارد.

منذ استماعي للقصة على قناة HorrotBabble ثم قرائتي للنص وأنا متشوق لترجمتها والتحديات التي سأواجها في سبيل توصيل معانيها للقارئ العربي، فقبل أي شيء هذه قصة تلمس الثقافة الإسلامية من عدة أوجه، فهنا حجر أسود قديم يُصلي الناس حوله في إشارة ملتوية إلى الحجر الأسود الموجود في الحرم المكي، هُناك إشارة لغزوات السلطان سُليمان القانوني وبصورة تختلف بالطبع عن الصورة المعروفة له في مسلسل (حريم السلطان)، ونتحدث عن غزو العثمانيين للمجر ولكن لا نتحدث عن المعارك الكبرى الشهيرة مثل معركة وادي موهاكس، هنا نتحدث عن ستريجويكافار وسُكانها المُخيفين، وهي مدينة تخيُلية اختلقها لافكرافت وكذلك اختلق وجود الكونت بوريس، ظهرت المدينة في عدد من أعداد مارفل كوميكس بعنوان سيف كونان الوحشي #74 في مارس 1982، وهنا هي مدينة زوثلتان، قرية في هيركانيا في العصر الهايبربوري.

ونجد هنا طائفة مُخيفة تعبد إلهًا شهوانيًا يعشق الدم والفسوق، وهو ضفدعي الشكل قريب من الكائن تساثوجوا الذي اختلقه كلارك أشتون سميث حسب كلام الناقد المُهتم بأدب لافكرافت س. ت. جوشي.

في القصة يتضح الفرق بين أسلوب هوارد ولافكرافت الكتابي، رغم اتضاح احترام هوارد للافكرافت بكل صراحة، هوارد هنا لا يصف كثيرًا ويهتم بالحدث أكثر،

ربما لهذا السبب نجح في كتابة أعمال الفانتازيا مثل كونان البربري وسولومون كاين، وكذلك يستخدم العديد من الألفاظ والأوصاف التي اعتاد لافكرافت على استخدامها، وكل هذا بغرض دمج القصة مع عالم لافكرافت الأصيل.

الشيء الذي سارَ على الريح

قصة لأوجَست ديرليث

ترجمة: حلمي مطر

نُشرت القصة لأول مرة في كتاب حكايات غريبة عن الغموض والرُعب في يناير عام 1933

بيان من رئيس قِسم شُرطة الخيالة الشمالية الغربية چون دالهاوزي، صادر من المنطقة السكنية المؤقتة في مُعسكر نافيزّا، مانيتوبا، في31/10/1931.

"هذه كلماتي الأخيرة بخصوص الأحداث الغريبة التي تُحيط بإختفاء الشُرطي روبرت نوريس من مُعسكر نافيزّا في السابع من شهر مارس الماضي، واكتشاف جثمانه في السابع عشر من نفس الشهر مُتجمدًا في مُنحدرٍ جليدي يبعد أربعة أميال من شمال المنطقة هنا. سيتضح موقفي مما حدث فور الانتهاء من قراءة تلك الكلمات، ولأكن خيرَ عونٍ لمن لا علم لهم بتلك الأحداث الغريبة، سأسرد إليكم الأحداث التي أدت للحادثة في السابع والعشرين من فبراير الماضي، إذ أرسل لي نوريس تقرير مُلحق يحل لغز حادث ستِيلّ-ووتر الشهير؛ تقرير يصُعب أن يُصبح مشاعًا لأسباب أمنية، وفي السابع من مارس اختفى نوريس دون أن يترك أي أثر كما سبق وأشرت".

تلك هي الحقائق المعروفة.. وهذا هو تقرير نوريس الأخير الذي أرسله لي، وهي وثيقة سرية للغاية.

مُعسكر نافيزّا، 27 فبراير عام 1931:

مهمتي في نقل الحقائق التي علمتها عن حادث ستِيلّ-ووتر كَكُل شاقة، ولهذا سأوجز سرد ما أعرفه ليعلم على الأقل من يهمه الأمر، هذا كل ما كُتب في دفتر يوميات معسكر نافيزّا، تحديدًا مُنذُ السابع والعشرون من فبراير

1930، يعني هذا مرور سنة كاملة على ذلك التقرير:

أُرسلت قصة غريبة لم يتم التحقق من صحتها بالكامل إلى مُحرري صحيفة دايلي، عن بلدة ستِيلّ-ووتر الواقعة على طريق أولاسّي؛ تبعد ثلاثون ميلًا أعلى مدينة نيلسون.

يُقال أن البلدة خالية وغير مأهولة بأحد، وأن الزائرين القادمين من المقاطعة لم يجدوا أي علامات تدُل على هجرة السُكان منها، فحاجيات القاطنين كما هي في أماكنها، تمت الزيارة في الخامس والعشرين من فبراير مُباشرةً قبل العاصفة التي هبت على المنطقة، وفي تلك الليلة، كان كُل شيءٍ طبيعي للغاية وفقًا لكُل التقارير، بعد ذلك، لم يعُد أي شيء في مكانه.. اختفى كل السُكان.

ستظل تلك القضية ساكنة في ذاكرة الجميع باللُغز الذي لم يتم حله، وقد سببت لنا أيضًا الكثير من المتاعب بسبب النقد غير العادل الذي وجهته إلينا الصحافة، حدث أمرٌ الليلة الماضية قمة في الغموض، ويُلقى الضوء على قضية ستِيلّ-ووتر الغريبة، مما أعطانا بعض الدلائل الغامضة التفسير، ولكن دلائل مثل تلك لا يُمكن أن تساعد في حل أي شيء على الإطلاق خاصة فيما يتعلق بهجوم الصحافة علينا كعناصر شُرطة، ولكن.. دعني أقُص عليك كُل شيء من البداية.. تمامًا كما حدث بالضبط.. وسيتضح الغامض بالنسبة إليك.

أقمتُ مع دكتور چايمسون الواقع منزله أقصى شمال

القرية؛ بيتٌ أقمتُ فيه لسنوات عِدة كلما تطلب الأمر للتواجد في معسكر نافيزّا، ذهبتُ وقتها للمعسكر قبل حلول المساء، وبصعوبة شديدة استطعت أن أستقر نفسيًا بعدما حدث؛ كنت واقفًا بالخارج ولم تكُن الأجواء باردة ومن السهل تحمُلها، هبت رياح متوسطة القوة ثم تحول الطقس فجأة رغم صفاء السماء لتُصبح الأجواء شديدة البرودة، تطلعت للسماء لأجد النجوم تنطفئ واحدة تلو الأخرى، ثم رأيت كيانًا أسود يقترب بسرعة من أعلى، فركضتُ عائدًا للمنزل لكن ليس بالسرعة المطلوبة؛ شيءٌ ما سقط في كومة الثلوج وسد الطريق للمنزل؛ كيانٌ يُشبه التكوين الخارجي لرجُل، اقتربت منه لأطمئن عليه لأجد شخصًا أخر يُقذف بنعومة في كومة من الثلوج خلفي، ثم ارتطم ثالثهم بقوة شديدة على الأرض.

لك أن تتخيل دهشتي، سقوط هؤلاء من السماء أمامي فجأة دون تحذير شل حركتي وعقلي، إلى أن هبت ريح باردة كانت بمثابة الصاعقة التي أعادت في جسدي الحياة؛ هرولت تجاه الأول فوجدته على قيد الحياة، رجُل بشري طبيعي، وكذلك كان حال الثاني، أما الثالث فكانت أنثى، ملامحها باردة كالثلج المُستلقية عليه بلا حراك..

كانت ميتة، وعلى الأرجح مُنذُ وقتٍ طويلٍ، ناديت دكتور (چايمسون وسويًا استطعنا إدخال الثلاثة للمنزل، وضعنا الرجلان على سريرين أما الأنثى فتولى أمرها الطبيب الشرعي المُختص بمعسكر نافيزّا، اضطررنا للاستعانة

بعونٍ أخر فاستدعى دكتور چايمسون الممرضات، وبالفحص السريع تأكدنا أن الرجلين مُصابان بإصابات طفيفة، كشف الفحص أيضًا عن شيء مذهل بخصوص هويتهما.

أعتقد أنك تتذكر ذلك؛ في الخامس والعشرون من فبراير وتحديدًا قبل حدوث حادثة ستِيلّ-ووتر، غادر رجلان نيلسون وذهبا لستِيلّ-ووتر ثم اختفيا قبل أن يصلا لوجهتهما، التقارير يومها أثبتت اختفاء المدعو أليسون وينتورث والمدعو چيمس ماكدونالد، ليتضح لنا أن القادمان من السماء هما ماكدونالد ووينتورث!

وذلك ما كشف وأثبت الكثير في تلك القضية بسبب ما حدث فور استيقاظهما.

عقدت وقتها العزم على وضعهما تحت الملاحظة إلى حين استيقاظهما، الأطباء أخبروني أن وينتورث هو أول من بدا عليه علامات استعادة الوعي، لذلك قررت أن أبقى إلى جواره، بجانب أن إحدى الممرضات تحملت مسؤولية تدوين أي شيء سيقوله.

علمت أن إحدى السيدات اللاتي يقطُنّ معسكر نافيسًا تعرفت على جثة الفتاة وقد جاءت لتُلقي نظرة على جثمانها، جثة الفتاة تنتمي لأيرين ماسيتَّ ابنة عائلة ماسيتَّ التي تمتلك حانة بـ ستِيلّ-ووتر، هذ يُشير بشكلٍ قاطعٍ لوجود الرجلين في ستِيلّ-ووتر وقت حدوث كارثة

اختفاء سكانها بالكامل، وبرفقة الفتاة تحديدًا، ذلك ما جال في عقلي وقتها.

تعجب دكتور چايمسون قائلًا:

- الوجهة التي قدمَ منها الثلاثة مُحيرة، والأكثر غرابة هو كيفية وصول الرجلين بلُطف للأرض دون أذى يُذكر، بينما ارتطمت الفتاة بالأرض بشدة كالنيزك، وأظهرت علامات تدُل على موتها منذ فترة.

كُل ذلك لم يُعطني أي دلائل سوى الإشارة بأن الموضوع له ماضٍ مُتعلق بحادثة ستِيلّ-ووتر، ووجب كشف ذلك اللغز لمعرفة كُل شيء.

كما ذكرت لك من قبل، اتخذت مكاني بجوار سرير وينتورث، واستمعت بعناية لأي شيء قد يقوله في فترة هذيان ماقبل الإفاقة، بدأ الدفء في الانتشار في جسده، ودونت الممرضة أغلب الكلمات التي استطاعت سماعها بوضوح لأن مُعظم الكلمات يصعُب التعرُف عليها، وجاء أحد المقاطع المحيرة التي قالها كالآتي:

- يا سائر الموت، يا إله الرياح، يا من تسير على الريح.. أدوراموس-تيِه.. أدوراموس-تِيه، دمر غير المؤمنين، يا من تسير مع الموت، يا من عبرتَ فوق الأرض، يا من قهرت السماء.. وميض أتٍ من مساجد بغداد.. نجوم وُلدت في الصحاري.. لاسا، لاسا الضائعة.. أعُبد، أعبُد، أعبُد سيد الرياح.

عقب تلك الكلمات صمتٌ عميق وقاتم، قطعه بعدها أنفاس الرجل غير المُنتظمة، دكتور چايمسون كان موجودًا ولاحظ ذلك وعلق بأنها إشارة سيئة عن حالته الجسدية رغم عدم وجود أي مؤشرات سابقة لتدهور حالته، ربما انتابته حالة من الهياج اللاوعي، استمرت حالة الهذيان في الازدياد أعقبها ما قاله بعد ذلك:

- يا أيها السائر فوق الريح، فرق الغيوم المُقبضة فوق إنجلترا.. أدوراموس-تِيه.. لقد فات وقت الهرب.. .يا سيد الرياح.. طِر، طِر وإلا سيأتي.. أُضحية.. أضحية.. .يجب أن يُضحى بأحدهم، نعم، يجب أن يُضحى بأحدهم.. المُختارة.. أيرين.. اوه.. فلتجتاح إيطاليا عندما تتفتح أشجار الزيتون.. وأرز لِبنان، أزرق.. أزرق في مهب الريح.. البراري الروسية التي اجتاحها البرد، فوق سيبيريا المأهولة بالذئاب.. صعودًا لإفريقيا، إفريقيا.. ذُكرت في كتابات بلاكوود.. وهُناك أشياء أخرى لم تُذكر.. أشياء قديمة، العناصريون الأولون.. ثم العودة إلى لينج.. لينج المفقودة.. لينج المُختفية.. حين ظهر السائر فوق الريح.. وآخرون..

أبدى دكتور چايمسون اهتمامًا شديدًا حين ذُكر العناصريون، تأكدت وقتها أنه يعلم عنهم شيئًا فسألته ليشرح لي؛ فرد أن هناك اعتقادًا بوجود أرواح عناصرية من النار والمياه والرياح، عناصر لا تنتمي ولا تخضع لبشر، يعبد تلك الأرواح بعض شعوب البلاد الأخرى،

حماسه كان مُبالغًا فيه وغير عادي بالمرة، لذلك وجهت له وابلًا من الأسئلة.

كثيرٌ مما قاله لي چايمسون لم يُشبع شغفي، من الواضح أن تلك الأشياء مَخفية عنا لسببٍ غير معلوم ولا يجب الخوض في تفاصيلها. ترددتُ في بداية الأمر في تصديق ما قاله بسبب كم الألغاز المُحيط بنا، لكن چايمسون أكد لي أن هُناك قصصًا سمعها من فترة- من بعض الناس- عن أمور غريبة أخرى قد حدثت، أتذكر أيضًا وصول بعض التقارير الغريبة التي لم يتوصل لحلها أي شخص وتقارير لخواها يسلك دربًا من دروب الماورائيات، وفي النهاية لم أجرؤ على التشكيك في أي شيء بعد كُل ما حدث.

الموضوع أقرب ما يكون لديانة غريبة؛ سكان ستِيلّ-ووتر كانوا يؤدون صلاوات لإله لا نعرف عنه شيئًا، أسموه إله الرياح، قيل أنه شيء ضخم لا يشبه البشر، لكنه يملك بعض سماتهم، وكلها تفاصيل مشوهة لا يُعتمد عليها في شيء، ذلك الكائن قام من سُباته الخفي بأقاصي الشمال، من هضبة مُتجمدة لا يُمكن اختراقها، هضبة غير مأهولة بالسُكان، قال چايمسون أنها تُسمى بهضبة لينج، أنا شخصيًا لم أسمع عنها أي شيء من قبل إلا من الثرثرة غير المفهومة وهذيان وينتورث، لكن ما استطاع أن يقتحم طيات عقلي بشكل مُرعب هو أنني صدقت كون أهل ستِيلّ-ووتر قد قدموا تضحيات بشرية لإلههم غير المعروف أصله ولا المفهوم كينونته!

هُناك قصصًا غريبة عن كائن عملاق استدعاه هؤلاء من عبدوه بتضحيات بشرية بشعة في أعماق الغابات، وقصص أخرى عن كائنٍ ضخمٍ شاهد المسافرون على طريق أولاسّي في السماء فوق وهج النيران التي التهمت غابات الصنوبر بستيِل-ووتر بأكملها، السؤال هو، هل تمتلك تلك القصص المصداقية الكافية ليتقبلها أي عقل؟ فبالنسبة لي، وفي طور التحولات التي سأدونها بالترتيب لاحقًا وأنا أقص عليك ما حدث، أنا غير قادر بالمرة على إبداء أي رأي حاليًا.

فاجأني دكتور چايمسون برأيه، أن القصص الأولية في مُنتهى الصدق، ودهشتي كانت لأن ذلك الرجُل الذي يرفض أن يؤمن بشيء دون دليل علمي هو نفس الشخص الذي لم يضع لإعمال العقل دورًا في تصديق تلك القصص، وذلك جعل الشك يتسرب إليّ بشدة، فربما چايمسون نفسه يُقر بكلماته هذه، أنه يعبد ذلك الشيء في الخفاء.

استعاد وينتورث وعيه فجأة، وسأل عن مكان وجوده فأخبره چايمسون، ولم يتفاجئ الرجُل إطلاقًا. سأل أيضًا عن السنة التي نحنُ بها، ولكن حين أخبرناه استشاط غضبًا وتمتم قائلًا: إذن، هي سنة زوجية! سكت قليلًا ثم سأل قائلًا: وماذا عن ما كدونالد؟ فأجبناه: موجود هنا أيضًا، وبخير. فسأل: كيف جئنا إلى هنا؟ أجبناه: من السماء. فازداد الحُنق في صوته وهو يقول: لقد أنزلنا إذًا.

فقال له چايمسون: كان معكما فتاة. فأجابه الرجُل بصوتٍ مُتعبٍ: نعم، كانت ميتة. ثم نظر إليّ بنظراتٍ مُشتعلة كالنيران وقال: هل رأيته؟ هل رأيت الشيء الذي يسير على الريح؟.. إذًا سيعود إليك، ولا يوجد من يحميك منه أو مكان تختبئ فيه.

انتظرنا بضعة لحظات لنُعطيه وقتًا يستريح فيه ويستعيد وعيه، لكن للأسف حالته قد تدهورت وازداد هذيانه وانتابته الهستيريا حتى سقط فاقدًا للوعي، وبعد فحصٍ أخر أعلن چايمسون أن الرجل يحتضر، كانت صدمة كبيرة لي وازداد أثرها حين أخبرني چايمسون أن ماكدونالد سيموت أيضًا أثناء غيبوبته على الأغلب، لم يستطع الطبيب الشرعي تأكيد الأسباب المؤدية للوفاة، فقط مُجرد تخمين واحد وهو أن أجسادهم قد اعتادت البرد لدرجة جعلت الدفء مُسببًا رئيسيًا لوفاتهم، في البداية لم أتمكن من تخمين أهمية ذلك التقرير ولكن چايمسون أبدى قبوله واقتناعه بفكرة أن اعتياد درجة الحرارة المُنخفضة أصبح هو الطبيعي لجسديّ هذين الرجُلين، وأن الدفء سيؤثر عليهم بالسلب كما تفعل البرودة الشديدة في الأُناس الطبيعيين.

وعلى الرغم من كلمات وينتورث غير المفهومة بالإضافة لملاحظات الممرضات وذاكرتي القوية، أستطيع الجزم أنني توصلت إلى قصة عقلانية؛ وصل ماكدونالد ووينتورث إلى ستِيلّ-ووتر في وقتٍ مُتأخرٍ من الليل بسبب عاصفة مُفاجئة أبعدتهما عن مسارهما، لم يتقبل

زوار الحانة وجودهما كغرباء لا يعرفهما أحد، لكنهما أصرا على البقاء حتى انتهاء العاصفة، وهو الأمر الذي لم يقتنع به مالك الحانة؛ ماسيتَّ الأب، لكنه قرر منحهما غرفة بشرط ألا ينظرا من النافذة أبدًا، بعد ذلك اقتحمت أيرين الغرفة وتوسلت إليهما أن يُنقذاها من المصير البشع كتضحية بشرية لإله وثني يعبده أهل بلدتها يدعى إيثاكوا، السائر على الرياح، كان السُكان في تلك الأثناء يُعدون كُل شيء لإتمام طقوس التضحية بالفتاة، ولم تتم الأمور بخير مما أثار غضب الإله المزعوم، لأن چايمسون تحدث عن حدوث حريقٍ هائلٍ في غابات الصنوبر في ستِيلّ-ووتر رآها المسافرون على طريق أولاسَّي، ذلك يعني أن الإله قد استشاط غضبًا لعدم وجود أُضحيته فأضرم نيرانًا هائلة في غاباتهم.

تحليل أخر، كما توصلت من كلمات وينتورث غير المُتماسكة، أن الثلاثة؛ أيرين وماكدونالد ووينتورث فروا من ستِيلّ-ووتر قبل الحريق الذي أضرمه الكائن في الغابة ردًا على عدم اكتمال الطقوس بسبب هروب الفتاة، ولكنه أسرهم على طريق أولاسَّي بالقرب من نيلسون واحتفظ بهم، الشيء الذي يسير على الرياح انتقم من أهالي القرية بإضرام الحريق في مكان التضحية، ثم اختطف الأهالي بأكملهم إلى السماء التي يسكنها، لتبقى البلدة خالية من مظاهر الحياة رغم عدم العثور على أي جثث.

لربما كان كائنًا من كائنات ما قبل التاريخ، ظل مُتجمدًا في أعماق غابات الصنوبر واحتفظ بكامل جسده وأعضاءه بفعل الثلوج، ثم دبت فيه الحياة مرة أخرى بمفعول الدفء الناتج عن حرائق لا يُعرف مصدرها في غابات الصنوبر، وأصبح إلهًا تعبده أهالي ستِيلّ-ووتر.

توفي ماكدونالد في صباح اليوم، تحديدًا في العاشرة وسبع دقائق، لم ينطق وينتورث بالكثير بعدها سوى هذيانٍ متُكرر عن اختفائه واختطافه مُنذُ العام الماضي، على يد ذلك الشيء العملاق؛ إله الرياح، الغريب أنه لم يتم الإبلاغ عن اختفاء أيٍ من الرجُلين خلال العام الماضي، وهنا يتبدى سببٌ أخر في عدم التوصل إلى حقيقة اختفائهما من الأصل، وربما هذا سبب تلك الحالة الغريبة التي أصابت عقل الرجُل، إذ ربما يكون قد اختفى للاستذكار والاطلاع على الكتب التي تتحدث عن الكيانات القديمة غير المعروفة للبشر، مما جعل تلك المعلومات تطغى على عقله فأصبح بعدها فريسة لمعرفته الواسعة التي استخلصها من الكُتب.

وأذكر الآن أنه يُحتمل استخلاصه لمعلوماته من الكُتب، لأن وسط تمتمات وينتورث التي نطق بها بهستيريا انكشفت معلوماتٍ كثيرة قد تجعل ذلك الاحتمال هو الأقرب للواقع، أنا لا أعلم بالطبع أي شيء عن طقوس معابد لاماسيري في التبت التي تحوي أسرار طقوس كهنة لاسا، ولا تطرقتُ من قبل للكُتب التي كشفت أسرار

حياة شعب الإمبي الإفريقي، وبالطبع لم أطلعُ على أي قصاصة تُشير لكائنات التِكو-تِكو التي سكنت بورما، ولا أي شيء يكشف عن وجود جنسٍ مُختلط من الرجال كان يعيش أسفل الثلوج في القارة القطبية المُتجمدة أنتاراكتيكا، وأن هنُاك في أيامنا هذه دلائل على وجود مملكة غارقة في عمق البحار تسمى رلييه الملعونة، حيثُ يرقد المُرعب كتولو في سُباتٍ بأعماق أعماق البحار، ينتظر الفرصة ليخرُج ويُدمر العوالم بأكملها، وبالتالي لم أسمع عن هضبة لينج التي حكمتها الكائنات القديمة من قبل.

لا تشُك في صدق كلامي، أنا لا أبالغ، أنا جاهل تمامًا بكُل ما ذكرته لك، لكن وينتورث تحدث بصدق وكأنه زار تلك الأماكن بالفعل، حتى أنه ذكر أن تلك المخلوقات أطعمته، وبالنسبة لتلك الـ(لاسا) فقد سمعت بعض التلميحات من قبلُ في أحد البرامج العلمية، ورأيتُ فيلمًا تسجيليًا عما سماه مُخرج الفيلم بمقاطع من إمبي الإفريقية المُختفية ولا أعرف أي شيء عن باقي الأمور، وبعد سماع صوت وينتورث المُرتعد وهو يذكر تلك الأماكن والأسماء ترسخ بداخلي رفضٌ تام لمعرفة أي شيء عن تلك الأماكن التي ارتبطت بالرعب الذي طغى على صوته.

دكتور چايمسون قال أن وينتورث ذكر وسط كلماته الهستيرية اسم بلاكوود، والذي إتضح أنه كاتب قضى بعض الوقت هنا في كندا.. اسمه بالكامل ألجرنون بلاكوود، أعطاني چايمسون بعضًا من كتب هذا المؤلف

واحتوى العديد منها على مقاطع ذكرت تلك الكائنات العناصرية، تُشبه إلى حدٍ كبير تلك الأوصاف التي خصت ستِيلّ-ووتر وأسرارها الغريبة.. ومع ذلك لم أجد أي جديدٍ يجذبُ انتباهنا في القضية، بإمكاني أن أُعطيك أسماء تلك القصص إن كنت لا تعلم عنها شيئًا.

أعطاني چايمسون أيضًا مجلات تخص كاتب أمريكي يُدعي هـ. ف. لافكرافت، ذكر هذا الرجل اسم المُرعب كتولو والمملكة الملعونة رليه في كتاباته، وأيضًا هضبة لينج.. يبدو أن مصادر وينتورث أصبحت معروفة الآن، رغم أن التفاصيل الموجودة بتلك الكتب والمجلات لا تُقارن البتة بصدق الرُعب ومشاعر التوتر التي استحوذت على كلمات وينتورث أثناء سرده للتفاصيل التي قالها.

تُوفي وينتورث أيضًا في الثالثة وعشرين دقيقة من هذا المساء، دخل قبل وفاته بساعة كاملة في غيبوبة لم يستيقظ منها مرة أخرى، أيقن چايمسون والطبيب الشرعي أن التعُرض للدفء كما قيل من قبل هو السبب الرئيسي في موت الرجلين، وقضاء عامٍ كاملٍ بصحبة السائر على الرياح أثرت كثيرًا على طبيعة جسديهما، فألِفا البرد وأصبح الدفء هو الموت بالنسبة لهما، كان دكتور چايمسون جادًا للغاية فيما اكتشفه عن موت الثلاثة، ولكنه دون في التقرير الطبي أمرًا أخرًا، فقال أن سبب الوفاة الرئيسي هو التعرض للبرودة القارصة، وفسر ذلك لي بقوله: اسمع يا نوريس، قد أُصدق الخيال وأرفض الحقيقة،

ولكن يجب ألا أدون بداخل التقرير مهو غير مألوف للناس، إن كُنت تُريد رأيي، يجب ألا تقول أي شيء عن الثلاثة أو هوياتهم أمام العامة، لأن وقتها سينطلق وابل من الأسئلة في وجهك، كيف لك أن تُفسر وقتها قدومهم من السماء؟ ومكان اختفائهم لمدة عامٍ كاملٍ منذ حادث ستِيلّ-ووتر؟ وما هو رد فعلك حين تتعرض للانتقاد حين تُفتح قضية ستِيلّ-ووتر مرة أخرى مُضافًا إليها اعترافات مُشوهة وهستيرية من ألسنةِ رجالٍ تحتضر؟

اقتنعت بكلمات چايمسون، لم أعرض عليه أي آراء بعدما قال، ولا أي شيء، حتى أنا أكتُبُ إليك هذا التقرير لأنه من واجبي كضابط شرطة فحسب، وهو موجه فقط لشخصك أنت، ربما من الأفضل أن تُمزقه بعد قراءته بدلًا من الاحتفاظ به وسط ملفاتك لئلا يقع مستقبلًا في أيادي بعض الوكالات الصحفية غير الأمينة.

كما ذكرت مُسبقًا، لم أعطِ أي آراء فيما سمعت من چايمسون، ولكني للأمانة أريد أن ألفت انتباهك لأمرين؛ أولهما هو تقرير الضابط بيتر هينريك المسؤول عن تحقيقات قضية ستِيلّ-ووتر في السنة الماضية، بتاريخ الثالث من مارس عام 1930، وإليك مقطع من التقرير الذي حصلت عليه:

"على طريق أولاسَّي، مسافة ثلاثة أميال أسفل ستِيلّ-ووتر، اكتشفنا ثلاثة مسارات متعرجة تحوي آثار أقدام لثلاثة أشخاص، الفحص أكد كونهما رجلين وأنثى

واحدة، كانوا يمتطونَ زلاجة تجرها الكلاب، ولسبب غير مفهومٍ تركوا الزلاجة وأكملوا ركضًا على طول الطريق تجاه نيلسون مُبتعدين عن أسفل ستِيلّ-ووتر، ثم توقفت المسارات فجأة، واختفت آثارُ الأقدام، ومع اختفاء الثلوج مُنذُ ليلة لغز ستِيلّ-ووتر لم نجد لهم أي أثر.. وكأنهم ارتفعوا من على سطح الأرض، اكتشفنا أيضًا ما هو أكثر غرابة؛ فعلى مسافة بعيدة وفي الجانب الآخر لأثار أقدام المُسافرين الثلاثة، وجدنا أثرًا رابعًا لقدم ضخمة يبدو أنها من صُنع مخلوقٍ هائل الحجم، أصابعه مُتصلة ببعضها البعض لتبدو ككفٍ ضخم!

وفقًا لذلك الجزء من التقرير، أود أن أضف شيئًا؛ في الليلة الماضية، حين نظرت للسماء وانطفأت النجوم، أظن أني رأيت سُحبًا غريبة تبدو في تكوينها كخطوطٍ عريضةٍ لجسدِ رجلٍ ضخم، أتذكر أيضًا أن في قمة السحابة المُشَكِلة لرأس الرجل شاهدتُ نجمتان تلمعان، بل مُشتعلتان كعينينِ تنظران لي!

أمر آخر؛ في مساء تلك الليلة، وعلى مسافة نصف ميل من منزل دكتور چايمسون، وجدتُ منخفضًا عميقًا في الثلوج، وعلى بُعد نصفَ ميلٍ من الجانب الأخر للمنزل وجدت واحدًا أخرًا، لم أستوعب المشهد في اليوم التالي لأن الشمس قد أذابت الخطوط العريضة لشكل الأقدام، مما جعلني متأكدًا وقتها أنها كانت مجرد تهيؤات، لكن هذا يُفسر الكثير، إذ اتخذت تلك المُنخفضات شكل آثار

أقدام مُتصلة الأصابع تبدو ككفوفٍ ضخمة!".

هُنا ينتهي تقرير روبرت نوريس الغريب، لم أتلقاه إلا بعد اختفاءه نظرًا لاحتفاظه به لبعض الوقت، التقرير مُمهر بتاريخ الخامس من مارس، وأنا استلمته في اليوم السادس، كتب نوريس رسالة أخرى قصيرة ومُخيفة، تبين بالكاد ما حدث له.

الخامس من مارس:

شيء مُرعب يلاحقني، لم أشعر بالراحة ليومٍ واحد منذُ ما حدث في المخيم، أشعر دائمًا بعيون حمراء مُشتعلة ضخمة تنظُرُ لي وحدي من السماء، لا أحد يراها غيري، أتذكر كلمات وينتورث بأن لا أحد ينجو بعدما يرى من يسير على الرياح، ولا يُمكنني نسيان شكله المُرعب في السماء، عيناه المُحترقتان تنظران لي كالنجوم في الليالي المسكونة، أنه ينتظرني!

تلك الرسالة هي التي جعلت طبيبنا المُختص يستدل على فقدان نوريس لعقله، وهروبه لأحد الأماكن غير المعروفة لنا لشهور عديدة، حتى عاد واكتشفنا جُثمانه المُتجمد، أود أن أُضيف بضعة نقاط؛ نوريس لم يفقد عقله، وكان من أفضل الضباط وأكثرهم حماسًا وانضباطًا تحت إمرتي، حتى خلال الأيام المُرعبة التي قضاها في المعسكر لم يفقد حواسه وحافظ على عقلانيته، وأظن أن نوريس قد هرب واختبأ في مكانٍ غير معروف لعدة شهور، وذلك المكان

ليس في كندا، ولا أمريكا الشمالية ولا أي مكان قد يخطُر على بالِ أحدٍ من الأساس.

وصلتُ لمعسكر نافيزّا بالطائرة بعد مرور عشر ساعات من اكتشافنا لجثمان روبرت نوريس، وبينما نطير فوق المنطقة التي وُجد بها الجثمان رأيت على جانبيّ المنطقة هبوطان شديدان في الثلوج، لم أشك لحظة في ماهيتهما، وقمت أيضًا بالبحث في مقتنيات نوريس وملابسه، ووجدت بجيبه تذكاراتٍ جلبها من الأماكن المجهولة التي زارها؛ صحيفة ذهبية منقوش عليها معركة تدور بين كائنات غريبة وقديمة ويعلوها نقوش غير مفهومة للغة لم أتعرف عليها.

أكد دكتور سبنِسر من جامعة كيبيك أن ذاك اللوح أتى من مكانٍ قديمٍ للغاية، وظل مُحتفظًا بشكله وتكوينه رغم ذلك دون أدنى ضرر، الشيء العجيب أنه إذا وُضع في مكانٍ مُغلق مُحاطٌ بحوائط، يُصدر أصواتًا وهمهمات وهدير كالرياح، تمتد أصداءها في نطاق المكان وتتعداها وصولًا لحدود السماء!

عن السائر على الرياح

كُتبت القصة في إطار تقرير من أحد عناصر الشرطة، عن اختفاء أحد ضباط قوات تنفيذ القانون روبرت نوريس والعثور على جُثته مُتجمدة في مُنحدر جليدي.

هنا نتحدث عن إثاكوا أو السائر على الريح أو الوينديجو كاسمه الأكثر شهرة، ظهر ذلك المخلوق لأول مرة في أساطير كتولو هنا، لكنه مُستوحى في الأصل من قصة للكاتب ألجيرنون بلاكوود تسمى "الوينديجو"، ترجمها إلى العربية أحمد صلاح المهدي.

إثاكوا واحد من الوحوش القديمة العظيمة، هيئته شبه بشرية ويمتلك عيون نارية لامعة، أُبلِـغ عن وجوده قرب المنطقة الشمالية المُتجمدة، وهرب السكان الأصليون من كندا وألاسكا بسببه، بينما كون البعض طوائف لعبادته خشية على أرواحهم منه، وكانوا يتركون له الصغار كأُضحيات لتجنُب شروره، وفي المقابل، يمُن عليهم بموهبة تحمل البرودة فتُصبح أجسادهم منيعة ضد البرد ودرجات الحرارة المُنخفضة.

ظهر إثاكوا في سلسلة أساطير تَيتاس كرُو للكاتب براين لوميلي، وهو هناك حاكم مملكة الجليد "بيوريا" ويقوم بالتحكم في الرياح ما بين الأرض والفضاء، وأيضًا مساعدة التائهين والعاجزين حتى يقوموا بعد ذلك بعبادته.

يحاول إثاكوا التكاثر مع نساء البشر ليخرج عن الحدود

التي فرضتها عليه الألهة الكُبرى، على أمل إخراج نسل قوي يساعده في تحرير باقي القدامى، توجد نظريات من عشاق عوالم لافكرافت وحلقة كُتّابه تقول أن "إثاكوا" يشعُر بوحدة مريرة تتمثل في دافعه القوي لجلب ذرية، فأغلب القدامى من نسله قد انقلبوا عليه في مرحلة زمنية ما.

في القصة إشارات كثيرة لأعمال ورموز لافكرافت لا تخفى على أحد مثل كتولو ورليه واسم لافكرافت نفسه، والآن، نحنُ على متن الطائرة المتجهة إلى كندا، أطلب منكم ربط الأحزمة، وعدم التطلع للسماء إذا ما رأيتم نجمتين متوهجتين تنظران إليكم من أعلى، ويفضل أن تُشيحوا بنظركم بعيدًا عن السُحب إذا ما تجمعت مُكونةَ لما يشبه جسد رجل بشري.

أظن أن هذه دعوة صريحة كي تُعيد قراءة تقرير روبرت نوريس.

أوبو - سائلا

قصة لكلارك أشتون سميث

ترجمة د. أحمد تركي

نُشرت لأول مرة في حكاية غريبة عدد يوليو 1933

.. لأن أويو-ساثلا هو المصدر، وهو النهاية.

قبل مجيء زهوثاقواه أو يوك-زوثوث أو كثولهوت من النجوم، سكن أويو-ساثلا في المُستنقعات البُخارية المُميزة للأرض المخلوقة للتو، وهو كتلة ليست ذات رأس أو أطراف، تبرعم من السمادل البرية اليافعة الحمراء أو الرمادية غير ذات الشكل المُحدد ومن أجود الأنواع وكذلك من النماذج الأولية المريعة ذات الأصل الأرضي، ويُقال.. أن كل أشكال الحياة على الأرض ستعود في النهاية عبر حلقة الزمن الكبرى إلى أويو-ساثلا.

مقطع من كتاب إيبون.

عثر بول تريجارديس على البلورة اللبنية في كومة من النفايات والبقايا جُمعت من عدة أراضٍ وعصور، دخل محل تاجر التحف والنوادر دون دافعٍ أو هدفٍ مُعينٍ في ذهنه بخلاف الإلهاء الكسول الحادث بسبب لمس واستطلاع تلك الأشياء المجموعة من مختلف أنحاء البسيطة، ولأنه دخل دون منهجٍ مُحدد في الاختيار اجتذب وميض باهت يستقر على إحدى المناضد انتباهه، فحرر ذلك الحجر الكروي غير المألوف من موقعه الظليل المُزدحم بين معبودٍ قبيحٍ لقبائل الأزتك، وبيضة أحفورية لطائر الموا العملاق المُنقرض، وفيتيش خشبي أسود لسيدة فاسقة أتى من النيجر.

البلورة في حجم بُرتقالة صغيرة، مُسطحة قليلاً عند نهايتيها كأي كوكبٍ عند قطبيه، أو كمحجر عينٍ واسعة، حير مظهرها تريجارديس لأنها لا تُشبه البلورات العادية، لكون التوهج النابع من قلبها مُتقطع، كغيمة مُتحركة لا تكشف عما بداخلها، تُضاء وتُظلِم بالتبادل، حملها إلى النافذة التي تَقيهم الشتاء بالخارج، وفحصها لفترة دون أن يتمكن من تحديد سر هذا التناوب الفريد المُنتظم، وسرعان ما تعقدت حبائل حيرته لبزوغ شعورٍ بأُلفةٍ غامضة لا يعرف لها سببًا، وكأنه رأى هذا الشيء من قبل في ظروفٍ نساها الآن بالكُلية.

ناشد بول تاجر التحف؛ وهو قزم يهودي يبدو أنه أتى للتو من عصرٍ قديم مُترب أعطاه انطباعًا بأنه ضاع هناك

وسط شباك مراجع الكابالا لاعتبارات تجارية.

- هل يُمكنك إخباري بأي معلومة عن هذه البلورة؟

هز التاجر كتفيه وحاجبيه بما لا يشي إن كان يعرف بالفعل أم لا، ثم قال:

- يُمكنني أن أقول إنها تعود لأول عصور حقبة الحياة الحديثة؛ العصر الباليوجيني، ولا يُمكنني قول أكثر من هذا لأن ما يُعرف عنها قليل، وجدها جيولوجي في جرينلاند تحت طبقات جليدية تعود إلى العصر الميوسيني، ومن يدري؟ ربما تعود ملكية البلورة إلى ساحر من ثول البدائية، وقتها كانت منطقة جرينلاند دافئة وخصبة تحت شمس العصر الميوسيني، ولا شك أنها بلورة سحرية، فقد يرى أي انسان رؤى غريبة تنبع من قلبها إذا تأملها طويلاً بما يكفي.

تمكن الذهول من تريجارديس، لأن ما يقترحه التاجر رائع إلى درجة استحضار ذهنه لغوصه في فروع التقاليد الغامضة؛ وتذكر كتاب إيبون على وجه التحديد؛ وهو من أندر وأغرب مجلدات السحر المنسية، يُقال إنها وصلت لأيدينا عبر سلسلة من ترجمات عديدة لأصلٍ كُتب فيما قبل التاريخ بلغة قارة هايبربوريا المفقودة، تمكن تريجارديس وبصعوبة كبيرة من الحصول على نسخة فرنسية مطبوعة تقريبًا في العصور الوسطى؛ وهي نسخة امتلكتها أجيال مُتتالية من السحرة وعبدة الشيطان، لكنه لم يتمكن

من العثور على المخطوطة اليونانية الأصل التي استخدمها المترجمون لنقل الكتاب إلى اللغات الغربية أبدًا.

يُفترض أن ساحر عظيم من هايبربوريا هو من كتب الأصل الرائع القديم، ولا بد أن اسمه كان إيبون ومنه جاء اسم الكتاب؛ والكتاب يتكون من مجموعة من الأساطير الظلامية المؤذية، والطقوس والشعائر والتعاويذ الشريرة والباطنية.

نجح تريجارديس في جمع وترتيب المجلد الفرنسي مع كتاب العزيف المُخيف للمؤلف العربي المجنون عبد الله الحظرد، سماع القصة يُصيب الأجساد بالارتجاف لأن سياق تلك الدراسات لن يعتبره أي شخصٍ عادي إلا محض خرافات أو هو على الأقل أمر في غاية الشذوذ، عثر كذلك على مُراسلاتٍ عديدة ذات محتوياتٍ أكثر سوادًا وترويعًا، بالإضافة إلى بياناتٍ كثيرة ممنوعة من التداول، إما أن العربي المجنون لا يعرفها أو أنه حذفها قاصدًا.. أو ربما حذفها المُترجمين.

تساءل تريجارديس في قرارة نفسه: هل هذا ما حاول تذكره؟ الإشارة العرضية المُختصرة المكتوبة في كتاب إيبون إلى بلورة غائمة امتلكها الساحر زون ميزاماليك، من مو ثولان؟ بالطبع، كل شيء هُناك رائع للغاية ولكنه افتراضي لأبعد الحدود كذلك، مو ثولان هذه هي الجزء الشمالي من هايبربوريا القديمة.

يُفترض أن جرينلاند المُعاصرة ارتبطت بقارة هايبربوريا، وشكلت شبه جزيرة مُتصلة بالقارة الأم، فهل يُمكن للحجر بحوزته أن يكون- ومن خلال بعض المُصادفات المُذهلة التي لا تتكرر- بلورة زون ميزامااليك؟

ابتسم تريجاردس بينه وبين نفسه وإن غُمرت بسُخرية داخلية لتصوره تلك الفكرة السخيفة، هذه الأمور لم تحدث أو على الأقل ليس في لندن المُعاصرة، ورجح كون تاريخ كتاب إيبون ذاك مُجرد خرافة، وعلى أي حال هُناك شيءٌ ما في البلورة يستفزه باستمرار.

حدد البائع المبلغ فدفعه دون مُساومة، وكان سعرًا عادلًا غير باهظٍ، وضع بول البلورة في جيبه وسارع بالعودة إلى حيث يسكُن بدلًا من تسكعه في الطرقات، وهناك ثبت أنموذج الكرة الأرضية على منضدته التي خصصها للكتابة، وتأملها وهي تقف أمامه مُستندة على إحدى نهاياتها المُفلطحة، ومع استمرار ابتسامته السخيفة استخرج مخطوطة كتاب إيبون الصفراء من موضعها وسط مجموعة تشمل أطيافًا أدبية مُختلفة يعتبرها كاملة إلى حدٍ ما، فتح الغطاء الجلدي ذي المشابك الملونة المُلطخة بالصدأ، وقرأ لنفسه بصوتٍ عالٍ يُترجم الفقرة التي تشير إلى زون ميزامااليك من الفرنسية القديمة جملة تلو جملة:

- هذا الساحر كان جبارًا بين سحرة الزمان، وجد حجرًا غائمًا يُشبه في شكله العام الأجرام السماوية، وهو مُفلطح إلى حدٍ ما في نهايتيه، واستطاع أن يُشاهد عبره وعبر

غياماته العديد من الرؤى لماضي كوكب الأرض تعود إلى بداية خلقها، عندما كان أوبو-سائلا، وهو الكيان الذي لم يأتِ للوجود عن طريق أي عملية تكاثر، يرقد بضخامته وانتفاخه كأنه مملوء بالخميرة وسط الوحل اللزج المُتبخر.. ولكن زون ميزامالياك لم يترك أي سجلاتٍ تُذكر لما رأه فعليًا، ويُقال إنه اختفى دون أثرٍ وبطريقة غير معروفة، ومن بعده ضاعت البلورة الغائمة.

وضع بول تريجارديس المخطوطة جانبًا، ومرة أخرى شعر بخدعة ما تُثير حنقه وتعذبه، كحُلمٍ ضائعٍ أو ذكرى صادرها النسيان، دفعه بعدها شعور لم يُدقق فيه أو يتساءل عن كنهه إلى الجلوس أمام الطاولة والتحديق باهتمام في الجُرم السماوي ذي المظهر البارد، وشعر بتوقعٍ لحدث ما بدا مألوفًا للغاية يتغلغل في وعيه ببطء وعُمق، لكنه لم يستطع تسميته.

ودقيقة تلو دقيقة، جلس يُشاهد تناوب اللمعان المُتقطع وكذا تلاشي الضوء الغامض في قلب البلورة، وبدرجة غير محسوسة ولا قابلة للقياس أحس بازدواجية شبيهة بحُلمٍ يقظة تتعلق بشخصه وما يُحيط به، يعلم أنه ما زال بول تريجارديس، الكائن في شقته في لندن، لكن هُناك شخص آخر في غرفة في مكان أخر، بعيدٌ في المكان والزمان ولكنه يعرفه جيدًا، وفي كلا البيئتين، يُحدق الشخصان بثبات في نفس البلورة.

وبعد وهلةٍ وجيزة، وبدون أن يتفاجئ تريجارديس،

اكتملت عملية إعادة تحديد الهوية، يعلم الآن أنه زون ميازاماليك، ساحر من مو ثولان، وطالب يدرس كل التقاليد والمعارف الباطنية السابقة لعصره، وهي أسرار وحكمة شنيعة لم تكن معروفة لبول تريجارديس بصفته هاوٍ لدراسة الأنثروبولوجيا والعلوم السحرية الغامضة في لندن بعد آلاف السنين، وبول يسعى للوصول إلى معارف مخيفة وقديمة باستخدام البلورة.

جاء الحجر إلى حوزته بطرق مشبوهة وعبر عدة مصادر شريرة، كانت بلورة فريدة من نوعها ولا شبيه لها في أي أرض أو زمان، وفي أعماقها ترقُد كل الأعوامِ السابقة وكل ما حدث في أي وقتٍ مضى، ومن المُفترض أن ينعكس كل هذا لتكشف عن نفسها للمُستبصِر الصبور، وباستخدام البلورة حلم زون ميزاماليك باستعادة حكمة الآلهة الذين ماتوا قبل أن تُولد الأرض، فانتقلوا إلى الفراغ المُظلم تاركين خلفهم تقاليدهم الخاصة منقوشة على ألواحٍ من الأحجار المصنوعة من النجوم الفائقة، وحرس أوبو-ساثلا الألواح في الوحلِ البدائي الكائن قبل أوبو-ساثلا، وكان وقتها ما زال ديميورغوس(1) أبله لا يتخذ شكلًا مُعينًا، ولا أمل في العثور على الألواح ثم قراءتها إلا باستخدام البلورة.

في أول ما رأى كان جالسًا في غُرفة مُغلقة بألواحٍ من العاج، مليئة بكتب السحر ومُعداته، يُحاكِم فضائل العالم المشهورة، ومن أمامه ترقد البلورة على طاولة من خشبٍ

هايبربوري داكن نُقشت عليه شيفرات وزخرفات قبيحة، هنا أحس بوعيه يتلاشى ببطء، وبدا أن البلورة تنتفخ وتتضخم، وفي عمقها الغائم شبه الشفاف رأى مشاهد قاتمة كدوامات مُنكسرة وخاطفة السرعة، وكأنه ينظر إلى عالم حقيقي؛ تتدفق من تحت ناظريه مُدن وغابات وجبال وبحار ومراعي عُشبية، وتُضاء البلورة ثم تُظلم مع مرور الأيام والليالي بالداخل في تيارٍ زمني مُتسارع غريب.

نسي زون ميزاماليك حقيقة كونه بول تريجارديس بالكلية، ولحظةٍ تلو لحظة، أصبحت الرؤية المُتدفقة داخل البلورة أكثر تحديدًا وتميزًا، وازداد عُمق الجُرم السماوي نفسه حتى أصاب الدوار رأسه، كما لو أنه يُحدق من ارتفاعٍ غير آمن إلى هاويةٍ ما لم تُسبَر أغوارها أبدًا، يعلم أن الزمان يتسارع إلى الخلف بداخل البلورة لينكشف له أسرار عرض أزياء تاريخية تُعبر عن كل ما مضى من أيام على الأرض؛ لكن إنذارًا غريبًا من نوعٍ ما كاد يستولي عليه، نخشي أن يُحدق لفترة أطول.

وكشخصٍ كاد أن يسقط من شفا هاوية جذب نفسه بعنف إلى البداية وتراجع بعيدًا عن الجُرم الغامض.

ولدهشته مرة أخرى، رأى العالَمَ الثائر كدوامة لولبية هائلة تطل عليه من داخل بلورة صغيرة غائمة المظهر مُثبتة على طاولته المصنوعة من خشب الرون في مو ثولان، ثم أحس أن الغرفة الكبيرة ذات الألواح العاجية المُنتزعة من الماموث تضيق وتتحول إلى مكانٍ آخر أكثر كآبة

وتجهمًا، وبدأ زون ميزامااليك يفقد حكمته الخارقة للطبيعة وقوته السحرية، وعاد بانحسار في غاية الغرابة إلى كونه بول تريجارديس، لكن يبدو أنه لم يقدر على العودة بصورة كاملة، فوجد تريجارديس نفسه في حالة ذهول، يتسائل عما حدث له بالضبط أمام طاولة الكتابة التي وضع عليها الكُرة المُفلطحة، وشعر بارتباك من رأى حُلمًا لكن ذهنه لم يستيقظ بالكامل من الحلم، حيرته الغرفة بغموضها، هناك عيوبًا لا يستطيع تحديدها في حجمها وأثاثها، واختلطت ذكرى شراءه البلورة من تاجرِ تُحفٍ مع انطباعٍ نقيض بأنه حصل عليها بطريقة مختلفة تمامًا.

لقد حدث له أمرٌ غريبٌ حينما حملق في البلورة؛ لكنه لا يستطيع تذكره، تركه ذلك غارقًا في نوعٍ من التشويش النفسي الذي يتبع الانغماس في شُرب الحشيش، أكد لنفسه بصرامة أنه بول تريجارديس الكائن في شارعٍ مُعينٍ في لندن، وأن العام هو 1932، لكن مثل هذه الحقائق الشائعة فقدت بطريقة ما معناها وصلاحيتها، وأضحى كل شيءٍ حوله مُغطى بالظلال وغيرِ ذي أهمية، ورأى الجدران تتمايل كأنها أعمدة دخان، والناس في الشوارع أشباحٌ يغشون أشباحًا، وأحس بنفسه كظلٍ خفيفٍ ضائعٍ، أو كصدى لصوتٍ نساه الخلق منذ زمن طويل يتجول في الأفاق.

قرر بعدها ألا يُكرر تجربته في التحديق في البلورة، فآثار فعلته هذه كريهة ومُريبة للغاية، لكنه في اليوم التالي

وبدافعٍ غير منطقي على كل المستويات خضع للتحديق في البلورة وكأنه آلة ميكانيكية لا تتردد، وجد نفسه جالسًا أمام الجُرم السماوي الحجري الضبابي ليُصبح الساحر زون ميزاماليك مرة أخرى، وفي مو ثولان حلم باستعادة حكمة آلهة ما قبل خلق البسيطة، ولمرة أخرى تراجع عن البلورة وعمقها خشية السقوط فيها؛ ليعود بنفس الطريقة المُريبة إلى حقيقته كبول تريجارديس، يجر ذيله خلفه كشبحٍ فاشل.

كرر تريجارديس التجربة ثلاثة مرات في أيامٍ متتالية، ومع كل مرة يُدرك أن شخصه والعالم من حوله يُمسيان أكثر هشاشة وإثارة للحيرة من ذي قبل، أحاسيسه هي ما يحس به حالمٌ على وشك الاستيقاظ، لندن نفسها بدت أرضًا غير واقعية مثل الأراضي التي تنزلق لتهرب من معارف الحالم، وتنحسر لتختفي في ثنايا ضبابٍ خفيفٍ وضوء تتخلله غيوم، وشعر بالإضافة لكل ذلك بتزاحم الصور ذات البؤر الواسعة ومحاولتها لاقتحام عقلة بغرابة شبه مألوفة، يا له من تناقض، الأمر يبدو وكأن خيالات الزمكان تتلاشى من حوله، لتكشف عن حقيقة أسمى، أو ربما هو مجرد حلم آخر مُتصل بالزمكان.

وفي الأخير جاء اليوم الذي جلس فيه أمام البلورة، ولم يرجع من رحلته كبول تريجارديس، وهو نفس اليوم الذي قرر فيه زون ميزاماليك تجاهل بعض التحذيرات الخطيرة بجرأة شريرة، وتغلب على خوفه من الانهيار

الجسدي في العالم المرئي الذي يراه، وهو نفسه الخوف الذي منعه من متابعة تيار الزمن العكسي ولو لسنتيمتر واحد حتى حينها، ثم أكد لنفسه أن تغلبه على هذا الخوف أمر حتمي، إذا أراد يومًا أن يرى ويقرأ ألواح الآلهة المفقودة، فلسنواتٍ لم يرَ أكثر من بِضعة شظايا من زمنٍ يسبق حياته في مو ثولان بسنواتٍ قليلة؛ ويعرف أن هُناك دورات لا يُمكن عدها بين هذه السنوات وبين البداية الحقيقية، يعرف ذلك لأنه رآها بنفسه.

تعمقت البلورة بشكل أكبر، مع تدفق مزيد من المشاهد والأحداث في تيارٍ عكسي السريان، وتلاشت الشيفرات السحرية على المائدة المظلمة من معارفه الحالمة، وانصهرت جدران غرفته المنحوتة بطريقة سحرية إلى ما هو أدنى من حُلم، ثم ترنح وشعر بدوارٍ مريع وهو يخني فوق الدوامات التي تطحن الخلجان الزمنية الرهيبة المُتصارعة في الجُرم السماوي الذي يحوي عالمًا كاملًا، كان سيبتعد خوفًا على الرغم من قراره الأولي، لكنه أطال النظر وانحنى نحو البلورة، فشعر أن هوة سحيقة تبتلعه، تمتصه برياحٍ لا سبيل لتجُنبها؛ عواصف تُجبره على مُتابعة رؤى طائرة سريعة غير مُستقرة تعرض ماضيه إلى سنوات وأبعاد ما قبل ولادته، وظن أنه يتعرض لآلام الانحلال العكسي، إذ لم يعُد الشخص المُسمى بزون ميزاماليك؛ مُراقب البلورة العارف الحكيم، بل أضحى جُزءً فعليًا من التيار المُتسابق الغريب الذي هرول عائدًا إلى البداية.. ليُعيد تحقيق البداية.

عاش حيواتٍ غير معدودة، ومات مراتٍ لا تُحصى، أو هكذا ظن، لأنه نسي في كل مرة الحياة والميتة السابقة، حارب في معارك كادت تكون أساطيرًا، وكان طفلاً يلعب وسط أنقاض مدينة قديمة في مو ثولان، وكان ملك المدينة في أوج سلطتها، والنبي الذي تكهن ببنائها ثم دمارها، وكان امرأة تبكي الأموات في مقبرة مُنهارة منذ زمن؛ وكان ساحرًا عتيق الطراز يتمتم بتعاويذ الشعوذات القديمة القبيحة؛ وكان كاهنًا في معبد لإله من عصر ما قبل البشر يستخدم سكينًا لذبح القرابين في معابد محفورة في كهوف ذات أعمدة بازلتية، وتتوالى حيواتٌ بعدَ حيوات، وعصورٌ بعد عصورٍ، تتبع فيها دورات زمنية طويلة الأمد والمتحركة تتلمس تاريخ قارة هيبربوريا من زمن الوحشية إلى حضارة متقدمة قديمة.

أضحى أحد البرابرة المُنتمين لقبيلة ما تتخذ الكهوف بيوتًا هربًا من ثلوجٍ عالية كالأبراج، تطغى ببطءٍ على الأرض وتحولها إلى عصرٍ جليدي، إلى أرضٍ تُضاء بتوهجاتٍ حمراء داكنة مُنبعثة من براكين راسخة، وبعد سنواتٍ لا يُمكن عدها لم يعد بشريًا، بل مُجرد وحشٍ يُشبه البشر يتجول في غاباتٍ من السرخس العملاق والكالاميت المُنقرض، أو يبني عشًا أخرقًا لا يصلح لعيش البشر المُعاصرين في أغصان النخيل السرخسي القوية.

وبمرور دهورٍ من الأحاسيس السالفة؛ الشهوة الصريحة والجوع والجنون والرعب المُتأصل، هُناك شخص أو شيء ما

يتراجع في الزمن، فالموت يُصبح ولادة والولادة تُضحي موتًا، وفي رؤية بطيئة للتغير العكسي، رأى الأرض وكأنها تنصهر، والتلال والجبال تنسلخ عن طبقاتها الدُنيا، والشمس تنمو وتتعاظم وتزداد سخونة فوق المُستنقعات التي تعج بحيواتٍ أكثر قسوة من نباتات خضراء أكثر نعومة تحت أبخرتها الغزيرة، أما الشيء الذي كان بول تريجاردس، والذي كان كذلك زون ميزامالياك، هو جزء من كل الانحدار الوحشي، فقد طار بأجنحة الزاحف المُنحنية تيروداكتِل المخلبية، وسبح في البحار الفاترة مع الجانب الضخم المُتعرج الظاهر من ظهر الإكثيوصور، وجأر بغير شفقة من حلق فرس نهرٍ منسي مُدرع حُزنًا على القمر الضخم الذي يحترق كما يبدو من بين الضباب والأشبار القديمة في بداية الزمان.

وبعد دهورٍ طويلة من الوحشية الغارقة في القِدم، أصبح واحدًا من الرجال الأفاعي المفقودين، الذين بنوا مدنهم من صخور النيس الصواني الأسود وخاضوا حروبهم السامة في قارة العالم الأولى، وسار على غير هُدى في شوارع ما قبل البشر في أقبية غريبة مُنحنية؛ وأطل على النجوم البدائية من أبراجٍ عالية في علو برج بابل، وانحنى وابتهل بهسهسة الحيّات لأصنام الأفاعي العظيمة، ثم تراجع في الزمن لسنوات طويلة إلى عصر الحفافيث، فأصبح شيئًا يزحف في الوحل، لم يتعلم بعد التفكير والبناء، والحلم، ثم جاء وقتٌ لم تعد هناك فيه قارة، بل مجرد مُستنقع

فوضوي شاسع الاتساع متساوي الارتفاع، بحر من الوحل بلا حدود ولا أفق ولا شاطئ، يتلوى وسط أبخرة عمياء تطمس أعين من ينظر إليها، إن كان هناك من سينظر.

وهناك، في البداية الرمادية للأرض، وُجدت الكتلة التي لا شكل لها والتي كانت أوبو-ساثلا، يرقد وسط الوحل والأبخرة، بلا رأس ولا أعضاء ولا أطراف، تنسلخ عن جوانبه المميتة في موجة بطيئة لا تتوقف تلك الأميبات التي ستُشكل النماذج الأولية للحياة على الأرضية، رؤية الأمر مروعة وبغيضة إذا كان للعقول القدرة على تقبُل وإدراك هذين الإحساسين.

ومن حوله، ترقد الألواح الجبارة من الأحجار المُقتلعة من النجوم والتي كُتب عليها حكمة آلهة ما قبل الدنيا غير القابلة للتصديق أو التصور، مائلة في الوحل أو راقدة على وجهها.

وهناك، ظهر هدف هذا البحث المنسي، خرج الشيء الذي كان- أو سيكون في وقت ما- بول تريجارديس وزون ميزاماليك، وأصبح من السمادل البرية اليافعة الحمراء أو الرمادية غير ذات الشكل المُحدد ومن أجود الآنواع، زحف ببطء لينسى كل لحظة مرت عليه وسط ألواح الآلهة البائدة، واندفع وقاتل بعمى كامل مع تبرعمات أوبو-ساثلا الآخرين.

***

لا تُذكر أي معلومات عن زون ميزامالیك واختفاءه في أي مكان عدا فقرة مُختصرة في كتاب إيبون، أما بالنسبة لبول تريجارديس، والذي اختفى بدوره، فهناك عدة قصاصات من جرائد لندنية تتحدث عن اختفاءه، لكن لا يبدو أن أحدًا يعرف عنه شيئًا، لقد ذهب وكأنه لم يوجد قط، وكذا الحال بالنسبة للبلورة، أو أن أحدًا لم يعثر عليها على الأقل.

15 فبراير 1932

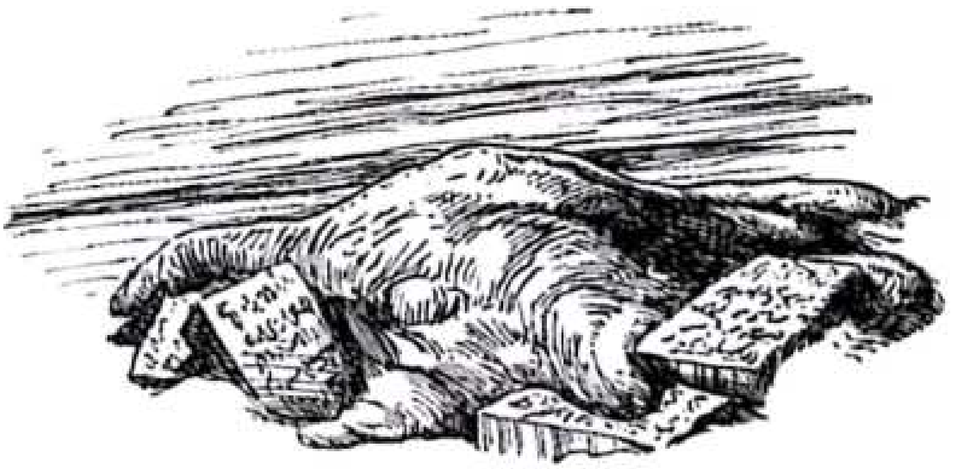

عن أوبو-سائلا البروتوزبلازمي

اعتاد كلارك أشتون سميث طرح أسئلة فلسفية كبرى باستخدام قصصه وكتاباته؛ من نحن؟ وكيف جئنا؟ وما هو أصل الحياة وأصل الكائنات؟ ماذا نفعل هنا وما هي مصائرنا؟

هكذا ابتدأ أحد قُراء الجودريدز مُراجعته لقصة أوبو-سائلا، وأتعجب كيف فكر وشطح بعقله والموضوع في الأساس قصة تُعد من قصص قصص الرعب والخيال العلمي، الحقيقة أن للأدب التنبؤي فرص كبرى للتحليق في سماوات الأفكار الغريبة التي ستنتج منها افتراضات ونظريات كثيرة ستختلف معها أو توافق عليها، القصة هنا تتحدث عن أطروحة غريبة يصف فيها بداية خلق البشر وباقي الكائنات الموجودة على الأرض، يُمكن للعلم والدين أن يختلف مع الفكرة المطروحة لكنها مقبولة في إطار اختلاق عالم أسطوري كامل تتواجد فيه آلهة قديمة وآلهة خارجية وسبب مُعين لوجود الكون ولتوسعه وكذلك لوجود كائنات على وجه البسيطة.

أوبو-سائلا من الآلهة القديمة التي تواجدت على الأرض فيما قبول ظهور الإنسان، وهو كتلة بروتوبلازمية نبعت منها كل أشياء الحياة على الأرض ويُقال أنه من سينهي الحياة كما منحها، والعجيب هنا أن أشتون سميث يتحدث عن موت تلك الآلهة القديمة رغم أن ما نعرفه عنهم أنهم

لا يموتون، وهو ما يُذكرنا بجملة لافكرافت الشهيرة: فنجلوي مجلواه نافاه، كتلو رليه وجاه ناجل فتاجن، يعني أن في بيته في رليه ينتظر كتولو الميت ويحلم، كما يقول لافكرافت على لسان عبد الله الحظرد في كتابه العزيف: أن من يستطيع الاضطجاع إلى الأبد لا يموت، وبمرور تلك العصور الغريبة يُمكن للموت نفسه أن يموت، في إشارة إلى تغلب كتولو على الزمن والموت بصورته المعروفة لنا.

كتاب ايبون من الكتب المعروفة في أساطير كتولو، ويتميز بقدمه الشديد فقد كُتب قبل العزيف وأسرار الديدان وكتاب طوائف لا اسم لها، وبالتالي يتحدث بمصداقية أكبر عن ماهية الآلهة الفضائية التي سكنت الأرض قبل عصورٍ مديدة، وبالطبع يتطرق إلى السحر الهايبربوري بل وإلى طريقة موت ايبون نفسه.

نُشرت القصة في مجموعة قصصية سماها أشتون سميث بحلقة هايبربوريا، يصف فيها تاريخًا مُختلقًا للقارة الأسطورية المشهورة في الثقافة اليونانية، ونُشر الكتاب لأول مرة عام 1971 عن كُتب بالانتاين المُختصة بنشر روائع الفانتازيا الانجليزية.

أظن أن القصة تصف فعليًا التأثر بالحشيش أو المُخدرات أثناء القراءة، وهو شعور غريب أحسست به بالفعل أثناء قراءة القصة ثم الاستماع إليها، لا أعرف ما هو مذاق الحشيش لكن رغبتي في الاستمرار رغم وجود غصة في حلقي بسبب الرجوع المُتسارع في الزمن أو الهلوسات

المريرة كان شعورًا مُتميزًا.

مُذكرة وُجِدت في منزلٍ مهجور

تأليف: روبرت بلوخ

ترجمة: حلمي مطر

صدرت في مجلة حكايات غريبة عدد مايو 1951

بدايةً، أود أن أدون أنني لم أرتكب أي فِعلٍ سيئ في حياتي، ولم أؤذي أحدًا، ليس لديهم أي عُذر لسجني هُنا مهما كانوا.. وليس لديهم أيضًا أي أسباب مُقنعة لفعل ما أنا متوجس خيفَة من أن يفعلوه.

أعتقد أنهم سيعودونَ قريبًا، لأنهم في الخارج مُنذ وقتٍ طويلٍ، إنهم يحفرون حسبما أظن في تلك البئر القديمة، يبحثون عن بوابة ما سمعت أنها ليست ببوابة عادية.. بل شيء أخر، أعلمُ ما الغرض مما يفعلونه، وأنا خائف للغاية، لكُنت استطعت مُشاهدةً ما يحدُث لولا أنهم حجبوا الرؤية من النوافذ وسدوها بالألواح الخشبية، ولكني أضأت المصباح ووجدت مُذكرة، لذلك سأدون كُل شيء، إما أن يتسنى لي أن أرسلها لأحدهم طلبًا للمساعدة، أو يجدها أي شخص أثناء مروره بالمكان لمعرفة ما حدث، وعلى العموم، من الأفضل أن أكتُبُ كُلَ شيء بدلًا من بقائي هنا في انتظار ما سيحدُث..

انتظار قدوم الـ(هؤلاء) للفتك بي.

سأبدأ بذكر اسمي أولاً، وهو ويلي أوزبورن، عُمري اثنتا عشر سنة أتممتهن في يوليو الماضي، ولا أتذكر أين وُلدت.

أول شيء باستطاعتي تذكُرُه هو أنني عِشتُ فترة طويلة بعيدًا عن روُسفورد في مكان يطلقُ عليه الناس بلدة التل الأسود، وهو مكان موحش ومعزول يحوي غابات كبيرة تحيط بالمنازل من كُلِ جانبٍ، والعديد من الجبال والتلال

التي لا يجرؤ أحدهم على تسلقها، اعتادت جدتي- التي عشتُ معها فترة من حياتي بعد موت أهلي- أن تُخبرني عنها حين كُنت أصغر سنًا من الآن، وهى التي علمتني القراءة والكتابة، لم أذهب في حياتي لمدرسة طبيعية كباقي الصغار.

تعرف جدتي كُلَ شيء عن التلال والغابة، وحكت لي الكثير من القصص الغريبة من وجهة نظري، وهي مُجرد قصص كالتي قرأتها في الكُتُب، مثلًا، قصص عن الـ(هؤلاء) المُختبئين في المُستنقعات، الذين عاشوا في نفس المكان قبل مجيء المُستوطنين والهنود الحُمر، وأخبرتني عن الدوائر الغريبة الموجودة في المستنقعات وأحجار المذابح الضخمة التي اعتاد الـ(هؤلاء) التضحية فوقها في سبيل من يعبدونه.

جدتي عرفت الكثير من القصص التي أخبرتها جدتها بها عن الـ(هؤلاء) المُختبئين في الغابة والمُستنقعات لأنهم لا يتحملون أشعة الشمس، وكيف قام الهنود الحُمر بالابتعاد عن طريقهم، قالت لي أن الهنود الحُمر كانوا يقيدون أحيانًا بعضًا من صغارهم في الأشجار كتضحية، ليدعهُم الـ(هؤلاء) يعيشونَ في سلام.

علِم الهنود الحُمر الكثير عن الـ(هؤلاء)، وحاولوا منع ذوي البشرة البيضاء من التدخُل في شؤونهم ومعرفة الكثير من أسرارهم، أو حتى الاقتراب من التلال والغابة، الـ(هؤلاء) لا يُسببون أي مشاكل ولكنهم

يكرهون الدُخلاء والزحام، لذلك هجر الهنود الحُمر المكان، وادعوا فقر المنطقة من الموارد وعدم قدرتهم على الصيد، بالإضافة لابتعاد المكان عن الساحل.

قالت جدتي أيضًا أن ذلك هو سبب عدم استيطان أخرين للمكان إلى وقتنا هذا، فقط بضعة بيوت مُزارعين هُنا وهُناك، أخبرتني أن الـ(هؤلاء) لا زالوا على قيد الحياة، وفي بعضِ ليالي الخريف والربيع يُمكن رؤية أضواءَ صاخبة وأصواتَ ضوضاء غريبة قادمة من قمم التلال البعيدة.

ذكرت جدتي أن لي عمة تُدعى لوسي وزوجها المدعو فريد اعتادا العيش هُناك في منزلٍ يتوسط تلك التلال، قالت أن أبي كان يزورهما كثيرًا، وأنه اعتاد سماع الـ(هؤلاء) وهم يقرعون طبولهم المصنوعة من الأشجار في الليالي المُظلمة.. ذلك قبل أن يتزوج أمي ويأتيا بي إلى الدنيا، ثم تتوفى هي ويذهب هو بلا رجعة.

قصت علي جميع أنواع القصص عن الساحرات والشياطين، والرجال الوطاويط الذين يصطادون ضحاياهم من البشر ويتغذون على دمائهم، وعن ساحرات سَالِم ومدينة أركام، لأنني لم أزُر المُدُن من قبل وأردتُ بشدة معرفة الكثير عنهن، عن مكان يُدعى إنزماوث ومنازله المُتعفنة التي أخفى قاطنيها أشياء فظيعة بداخل أقبيتها وعُلِّيتها، أخبرتني كيف حفر السُكان قبورهم عميقًا أسفل مدينة أركام مما جعلني أتخيل البلدة بأكملها مسكونة

بالأشباح ومأهولة بالوحوش.

اعتادت إخافتي وهى تُخبرني عن شكل كُل تلك الأشياء الغريبة، ولكنها لم تُخبرني أبدًا كيف يبدو الـ(هؤلاء) مهما توسلت إليها بأن تُخبرني، مُبررةً ذلك بأنها لا تُريد أن يتعلق عقلي بمثل تلك الفظائع كيلا أضطرب نفسيًا، ويكفي ما تعرفه من فظائع هي وأقربائها الأتقياء الذين يعبدون الرب ويطلبون مغفرته وحمايته، ومن حُسن حظي أنني لم أشغل بالي بالأفكار عن تلك الفظائع، مثل جدي من عائلة أبي، ماهِتَبُل أوزبورن، الذي مات شنقًا بتهمة الشعوذة في فترة مُحاكمات سالِم.

كلها مُجرد قصص بالنسبة لي حتى العام الماضي، حين توفيت جدتي ووضعني القاضي كُربينثروب في القطار المُتجه لعمتي لوسي وزوجها فريد لأسكُنُ معهما في نفس المكان المُتوسط للتلال التي أخبرتني جدتي عنه، ولكم أن تتخيلوا مدى حماسي أثناء تلك الرحلة، سمح لي سائق القطار أن أبقى معه في الكابينة طوال الطريق وأخبرني عن المُدُن وكُل شيء، قابلني العم فريد في المحطة وهو رجُلٌ طويلٌ ونحيف، وذو لحية طويلة، انطلقنا بعربتُهُ التي تجرها الخيول وتوغلنا في أعماق الغابة، عجيبة هي تلك الغابة، ساكنة وهادئة للغاية، يبدو ألا أحد قد صرخ أو تحدث أو حتى ابتسم بداخلها.. لم أتخيل أن أحدهم قد قال أي شيء بداخلها إلا همسٍ، هناك أشجار طويلة وقديمة للغاية، لا حيوانات أو طيور، نمت في الطريق نباتاتٌ قصيرة

تؤكد ألا أحد قد مر هنا من قبل، انطلق العم فريد بسُرعة رهيبة ولم ينطق سوى ببضع كلمات لتُحمس الخيول وحثها على الركضِ بأقصى ما عندها من سُرعة.

وصلنا سريعًا لبعض التلال المُرتفعة للغاية، تنساب منها جداول مائية، ثم اخترقنا بداية الغابة.، لم أرَ أية منازل، هو مجرد مكانٍ مُظلم كالشفق أينما نظرتُ، وفي النهاية وصلنا لبيت المزرعة، وهو منزل صغير وقديم، متوسط الحجم ومُعتاد الشكل والبناء، ومساحة حظيرته شاسعة وممتدة في الفراغ، مُحاطة بأشجار جعلتها قاتمة ومُقبضة المنظر، خرجت العمة لوسي وقابلتنا، سيدة قصيرة لطيفة متوسطة العُمر، احتضنتني ثم حملت أمتعتي، ودخلنا المنزل.

كُل هذا يتعارض مع المُفترض بي تدوينه، لا يهم الآن إن كُنتُ قد سكنتُ طوال العام الماضي في منزل أقربائي وأكل ما يزرعه العم فريد دون الحاجة للذهاب للبلدة، لكني سأدون كُل شيء، لم توجد مزارع بالقُرب من هُنا حتى مسافة أربعة أميال، ولا مدارس، لذلك اعتادت العمة لوسي مساعدتي فيما أقرأه.. لم ألعب كثيرًا أيضًا.

في البداية خشيت أن أتجول في الغابة بسبب القصص التي قصتها عليّ جدتي، بالإضافة إلى الطريقة الغريبة التي يُغلِقُ بها العم فريد والعمة لوسي الأبواب ليلًا، وعدم تجولهما في الخارج بعد أن يُخيم الليل بقتامته على المكان، حتى في الصيف.. لدرجة جعلتني موقنًا أنهما يخافان من شيء ما.

وبعد فترة اعتدتُ فكرة كوني أعيش في الغابة، وأنها ليست مُخيفة بالمرة، قُمتُ بأداء بعض المهام للعم فريد، ولكن في بعض فترات ما بعد الظهيرة أثناء انشغالهُ كُنت أتعمق في الغابة بمفردي.. تحديدًا في بداية المساء، وتلك هي بداية رؤيتي لكُل ماهو غريب ومُخيف؛ كانت بداية شهر أكتوبر، وقفت في وادٍ صغير إلى جانب صخرة كبيرة، ثم بدأت الضوضاء فاختبأت خلف الصخرة سريعًا، وكما ذكرت من قبل فلا يوجد هُناك أي حيوانات ولا أُناس، فيما عدا كابتن بريتشيت ساعي البريد، والوحيد الذي يزورنا كُل خميس بعد الظهيرة، لذلك حين سمعت تلك الضوضاء التي لا تنتمي للعم فريد ولا للعمة لوسي توجب عليّ الاختباء!

كانت الضوضاء بعيدة المصدر في البداية، تشبه نوعًا ما في تركيبتها صوت قطرات دماء مُتساقطة لترتطم في النهاية بقاع الدلو حين يذبح العم فريد خنزير بري.

نظرتُ حولي ولكني لم أستطع تمييز أي شيء، حتى أنني لم أكتشف الاتجاه الذي يأتي منه الصوت، توقف كُل شيء لدقيقة فعاد الصمت القاتل من حولي مرة أخرى، والأشجار المصبوغة بلون الغسق القرنفلي واقفة في سكون كالموت المُتأهب، ثم عادت الضوضاء مرة أخرى، أعلى وأكثر قُربًا مني، بدت كأصواتِ جموعٍ من الرجال يمشون أو يركضون معًا في وقتٍ واحد، وأصوات أغصانٍ مُتناثرة على الأرض تتهشم بفعل أقدامٍ تركُض بسُرعة وبقوة،

وأصوات لأجسادٍ تحتك بالشجيرات المُحيطة بها، مجموعة مُختلطة من الأصوات في صوتٍ واحد، عُدتُ بسُرعة لمكاني خلف الصخرة وانتظرتُ بهدوءٍ شديد، استطعت حينها الجزم أن الصوت أصبح قريبًا مني للغاية الآن، وأن مُحدثيه يتجولون حولي في الوادي، أردت بشدة أن أختلس النظرات ولكني لم أقدر، ليس لأني كدتُ أموت خوفًا فقط، بل لأن رائحة مثيرة للغثيان بشدة انتشرت مع اقتراب الصوت من مكان وجودي، كأن شيئًا قد دُفن ونُبِشَ قبره وهو في طور التحلُل وفي وضح نهار يومٍ أشد حرارة من نيران الجحيم.

توقف الصوت مرة أخرى، المؤثرات المُصاحبة له جعلته حقيقيًا وقريبًا مني للغاية، وأصبحت الأشجار ساكنة ومُقبضة كالموت، ثم عاد الصوت مرة أخرى، هو صوتٌ وليس بصوتٍ، لا يبدو كصوت، بل أكثر كنعيق أو أزيزٍ عميق وهادئ، ولكن لابد أنه صوت لأنه يقول كلمات، ليست كلمات أفهمها، لكنها.. كلمات، كلمات جعلتني أُبقي رأسي مُنخفضًا، نصف خائفٍ من أن يروني، ونصف أخر يخشى أن أرَ شيئًا مُخيفًا، بقيت في مكاني أتعرق بشدة وأرتجف بعُنف، الرائحة الفجة أصابتني بالإعياء، ولكن ذلك الصوت العميق الهادئ كان أسوأ بكثير، كان يقول بشكلٍ مُتكررٍ شيئًا من قبيل:

- إي-أه شَوب نيجوراث نجَاه رايلا نِب شوجوث.

لا أستطيع نطقها بنفس الطريقة التي نطقوها، ولكني

سمعتها مرارًا وتكرارًا بما فيه الكفاية لأتذكرها ما حييت، ظللتُ أستمع إلى أن أصبحت الرائحة أكثر كثافةً ومُقتًا، وكدت أفقد الوعي.. لأنني استيقظت بعدها لأجد الصوت قد اختفى، وأصبح المكان أكثر ظُلمة، ركضت بأقصى سُرعة للمنزل لكن ليس قبل أن أُمر بالمكان، نعم، كان هُنا شيءٌ ما، لن يترك بشري خلفه تلك الآثار الغريبة التي تشبه آثار أقدام الماعز على الأرض الطينية، بالإضافة لتلك المادة اللزجة الخضراء كريهة الرائحة، لم تكُن أربعة أو ثمانية آثار.. بل كانت بالمئات!

لم أُخبر أيًا من العم فريد أو العمة لوسي شيئًا عما رأيت، ولكن حين خلدتُ إلى النوم راودتني كوابيس مُرعبة؛ كُنت واقفًا في الوادي المُظلم ورأيت ذلك الشيء هذه المرة، كان طويلًا ومصبوغًا بلونٍ أسودٍ كالحبر، لا يتخذ هيئة أو شكلًا مُحددًا ولكني رأيت أغطية سوداء عديدة مُنتهية بحوافر كحوافر الماعز، أقصد.. كان له شكلًا ولكنه استمر بالتبُدل لأشكال أخرى عديدة مُنتفخة ومُتغيرة الأحجام، وأفواه عديدة تكسوه بالكامل كأوراق شجرٍ تكسو الفروع.

هذا أقرب وصف لما رأيت، فالأفواه كانت كأوراق الأشجار، والشيء بدا كشجرة طويلة في مهب الرياح؛ شجرة سوداء ذات فروع كثيرة تمتد للأرض والعديد من الجذور المُنتهية بحوافر، وتلك المادة اللزجة كريهة الرائحة تتساقط من تلك الأفواه، وفي نهاية أقدامه الجذور الحوافر هُناك

عصارة غريبة!

تذكرت في اليوم التالي حين استيقظت أن أُلقي نظرة في كتاب امتلكته العمة لوسي بالأسفل بعنوان علم الأساطير، وفيه حكايات عن أُناسٍ في إنجلترا وفرنسا يُلقبون بالكهنة؛ وهم يعبدون الأشجار ويعتقدون أنها حية، ربما ما رأيته كان من المعبودات، ويُسمى حسبما قرأت بروح الطبيعة، لكن هؤلاء الكهنة عاشوا في بلاد ما وراء المحيطات، فكيف لهذا أن يحدُث هنا؟ سيطر القلق والتفكير عليّ عدة أيام بعدها، ويُمكنكم أن تخمنوا أنني لم أجرؤ على الذهاب لأعماق الغابة مرة أخرى.

ثم إني توصلت لتحليلٍ منطقي؛ هُناك من طارد هؤلاء الكهنة عبر غابات انجلترا وفرنسا وبعضهم تمكن من ركوب بعض السُفن وعبروا بها المحيطات مثلما فعل البحار والمُستكشف الاسكندنافي ليِف إريكسون، بعدها أعتقد أنهم استقروا في الغابة ها هُنا وطردوا المستوطنين والهنود الحُمر بتعاويذهم السحرية.

عرفوا كيف يُخفونَ أنفسهم في المستنقعات، وأن يؤدوا وقتما أرادوا صلواتهم الوثنية لاستحضار تلك الأرواح التي سكنت باطن الأرض أو أيًا كان أصلهم، واعتقد الهنود الحُمر بأن من أطلقوا عليهم (الآلهة البيضاء) جاءوا لأراضيهم من وراء المُحيطات، فماذا لو كانت تلك طريقة أخرى في سرد كيفية مجيء هؤلاء الكهنة إلى هنا؟

بعض الهنود الحُمر المُتحضرين من قبائل الأزتِك والإنكا اعتقدوا أن (الإله الأبيض) جاء وعبر المحيطات على متن سفينة، وعلمهم كُل أنواع السِحر، أيُفترض أنه كان أحد الكهنة؟ هذا يُفسر كلام جدتي عن الـ(هؤلاء) أيضًا، الكهنة المُختبئين في المُستنقعات بالتأكيد هم من كانوا يقرعون الطبول، ويشعلون النيران على قمم التلال، لابد أنهم كان يستدعون الـ(هؤلاء) أو (أرواح الطبيعة) من باطن الأرض، بعدها قاموا بتضحياتٍ دموية، مثلما فعلت الساحرات القُديمات، ألم تخبرني جدتي عن هؤلاء الذين سكنوا التلال واختفوا فجأة بدون أي أثر؟

لقد سكنتُ منطقة موبوءة بالأساطير تمامًا مثل تلك الأماكن.. عيد الهالوُوين يقترب، وقت الحدث الأكبر، كما أطلقت عليه جدتي، بدأت أتساءل: إلى متى سأُلازم المنزل؟ تملك مني الرُعب بشدة لدرجة جعلتني أخشى الاقتراب من باب المنزل، فأعطتني العمة لوسي دواءً مُنشطًا إذ قالت أن المرض الذي أصابني في ذروته.

وفيما بعد ظهيرة أحد الأيام، سمعت صوت العربة التي تجرها الخيول قادمة من الغابة، فركضت لأختبئ أسفل السرير، كان كابتن پريتشيت وبصحبته الخطابات، بدا العم فريد مُتحمسًا للغاية حين دخل المنزل مُمسِكًا بخطاب، ابن العم أوزبورن قادم لقضاء بعض الوقت معنا، وهو قريب العمة لوسي وكان في إجازة لمدة أسبوع لذلك أراد أن يُمضي الوقت هُنا معنا، سيصل على متن القطار الوحيد

الذي يتجه إلى هنا تحديدًا في مساء يوم الخامس والعشرين من أكتوبر، وفي الأيام التالي كُنا جميعنا مُتشوقين للغاية لدرجة جعلتني أنا شخصيًا أنسى كل شيء عن الشعوذة المظلمة تلك.

رتبَ العم فريد الغرفة الخلفية لابن العم أوزبورن لينام فيها، وساعدته في مهمات النجارة المطلوبة، ومرت الأيام بسرعة فأصبحت الليالي باردة مع تزايد سرعة الرياح، استيقظ العم فريد بنشاط في صباح الخامس والعشرين وجهز ملابس ثقيلة لتدفئته في رحلة إحضار ابن العم أوزبورن من محطة القطار، وهي رحلة طويلة تبلغ سبعة أميال من المنزل للمحطة، لم يصحبني ولم أتوسل إليه، فأصوات الصرير والحفيف في الغابة بفعل الرياح لم تُشجعني البتة.. ماذا لو لم تكُن مجرد أصوات عادية؟

وبالفعل غادر في المساء وبقينا في المنزل أنا والعمة لوسي، انشغلت بتخزين ثمارِ البرقوق ليكفي طوال الشتاء بينما غسلت أنا البرطمانات بمياه البئر، لم أخبركم عن امتلاكنا لبئرين؛ واحدة جديدة مُزودة بمضخة معدنية لامعة قريبة من المنزل، بينما القديمة الحجرية كانت على أطراف الحظيرة وبدون مِضخة، ولم تكُن جيدة بالمرة، قال العم فريد أنه وجدهما حين اشتريا المنزل. كانت مياه البشر القديمة لزجة، وكانت المياه تخرج منها بدون الحاجة لمضخة، لم يفهم العم فريد كيفية حدوث ذلك، ولكن أحيانًا كان يجد المياه تخرُج وتفيض منها؛ مياه لزجة

خضراء اللون ورائحتها لا تُطاق.

لم أقربها أبدًا، واستخدمت البئر الجديدة في مهامي حتى اقترب المساء وبدأت السُحب تتجمع، جهزت العمة لوسي الغداء وبدأ المطر بعدها في الهطول بقوة بالإضافة لصوتِ رعدٍ قوي ضربَ أرجاء البُقعة الغربية فوق التلال، وبدا لي أن العم فريد وابن العم أوزبورن سيواجهان مشاكل كثيرة أثناء رحلة عودتهما من المحطة للمنزل خصوصًا في تلك الأجواء العاصفة، ولكن العمة لوسي لم تقلق بخصوص ذلك وطلبت من مُساعدتها في تخزين برطمانات البرقوق.

في الخامسة مساءً أعلن الظلام عن بدايات قدومه، ولم يصل العم فريد وابن العم أوزبورن إلى المنزل، حينها تمكن القلق منا، لربما تأخر القطار أو حدث شيء ما للعربة أو الخيول.

السادسة مساءً، لم يصل أحد، توقفت الأمطار عن الهطول، لكنني لا زلتُ أسمع صوت زئير الرعد الغاضب فوق قمم التلال، والغصون المُبتلة بمياه الأمطار تتقاطر منها المياه على الأرض العُشبية كصوت امرأة تضحك، لابد أن الطريق قد منعهما من إكمال الرحلة، ولربما ابتلعت الأرض الطينية عجلات العربة، يُحتمل أنهما احتميا بمكانٍ ما في عُمق الغابة حتى انتهاء العاصفة.

السابعة مساءً، الظلام يُخيم على الصمت القاتل بالخارج،

والقلق يقتل العمة لوسي، طلبت مني أن أخرُج بصحبتها لتضع مصباحًا على السياج الحديدي المُحيط بالطريق المؤدي للبوابة، مشينا في الطريق المؤدي للسياج، سكنت الرياح بعد موجة غضبها العارمة، المكان مظلم وهادئ كأعماق الغابة بالظبط، شعرتُ نوعًا ما بالخوف من مجرد المشي في الممر بصحبة العمة لوسي، وكأن هُناك شيء مختبئًا في الظلام هُناك ينتظر بهدوء الفرصة المناسبة للإمساك بي.

أضأنا المصباح وانتظرنا بينما ننظُر للطريق الهادئ المُظلمة نهايته.

- ما هذا؟

قالتها العمة لوسي بصوتٍ حاد مفزوع، استمعت بعناية حتى تعرفتُ على صوتٍ كالطبول قادم من هُناك.

- العربة التي تجرها الخيول.

صحتُ قائلًا فاطمأنت العمة لوسي.

- عندك حق.

قالتها بارتياح، وبالفعل رأيناها قادمة من بعيد، الخيول تركضُ بسرعة عنيفة بينما تترنح العربة من عنفوان السرعة بجنون رهيب، لم يتسنى لنا فهم أي شيء، ففورًا اقتحمت العربة البوابة وأكملت الخيول الركض حتى وصلت للحظيرة فركضنا خلفها فوق الأرض الطينية الزلقة، الخيول مُلطخة برغوة كالصابون، وعندما توقفت ظلت تتحرك بتوتر في

مكانها، انتظرنا أنا والعمة لوسي ابن العم أوزبورن والعم فريد ليترجلا من العربة، ولكن لم يحدث أي شيء، نظرنا بداخل العربة، فلم نجد أي شخص بالداخل!

صرخت العمة لوسي في فزعٍ وبصوتٍ عالٍ:

- يا إلهي!

ثم فقدت الوعي، اضطُررتُ لحملها واصطحابها إلى داخل المنزل، ثم ساعدتها على الاستلقاء في سريرها، ظللت مُستيقظًا طوال الليل مُنتظرًا بجانب النافذة، ولكن العم فريد وابن العم أوزبورن لم يظهرا.. أبدًا.

الأيام التالية كانت فظيعة، لم نستدل من العربة على أي شيء يُخبرنا عما حدث، ولم تسمح العمة لوسي لي بالابتعاد سيرًا بمفردي على الطريق المؤدي للبلدة، ورفضت اقتراحي بأن أذهب للبحث في المحطة سيرًا عبر الغابة.

في الصباح التالي وجدنا الأحصنة ميتة في الحظيرة، لذا تطلب الأمر أن نسير لأميالٍ طويلة وصولًا لمزرعة عائلة وارِن، كانت العمة لوسي خائفة من أن تبقى في المنزل، وأكثر خوفًا من الذهاب، ولكنها اطمأنت لفكرة الذهاب بصحبة كابتن بريتشيت للبلدة حين يمر من هنا لتقديم تقرير بما حدث في مخفر الشُرطة، وربما البقاء هناك حتى نكتشف سبب اختفاء العم فريد وابن العم أوزبورن.

أما أنا فكانت لدي قناعات شخصية مُظلمة عما حدث، عيد الهالوُوين اقترب، وربما أمسك الـ(هؤلاء) بالعم فريد

وابن العم أوزبورن لإتمام التضحية، أتذكر أيضًا أن كتاب علم الأساطير ذكر أن الكهنة يُمكنهم إحداث عواصف بتعاويذهم.

وليس من المنطقي أن أتحدث مع العمة لوسي أيضًا، فيبدو أنها عقلها، تهز جسدها للأمام والخلف وتضرب بأقدامها الأرض في توتر، تغمغم بكلمات على غرار: "لا فائدة"، و"لقد ذهبا للأبد"، و"لطالما حذرني فريد".

اضطُررتُ لتحضير وجبات الطعام والاعتناء بنفسي دون سؤالها عن شيء، وفي المساء يُصبح الوضع أسوأ، إذ كنت أسمع أصوات الطبول في أذني طوال الليل، ولكن هذا الوضع أفضل بكثير من النوم وهجوم تلك الكوابيس البشعة عليّ؛ كوابيس عن كيانٍ أسود يُشبه الشجرة يمشي في الغابة ثم يقف فجأة وتخرج منه جذور تخترق الأرض لتُسهل له الوضع لينحني، وتلامس أفواهه الكثيرة الأرض العشبية مُصليًا لذلك الإله الغريب القابع في عُمق الأرض.

لا أدري كيف لتلك الفكرة أن تنبُت في عقلي؛ كائنٌ يصلي عن طريق إلصاق أفواهه الكثيرة بالأرض؟ ربما ذلك هو سبب وجود تلك المواد اللزجة، أو.. هل رأيته بالفعل في ذلك اليوم؟ لا، لن أعود مرة أخرى لذلك الوادي لأكتشف الأمر، كُل هذا من صُنع عقلي فحسب، قصة (الكهنة) والـ(هؤلاء) والصوت الذي نطق بكلمة الشوجوث وكُل تلك الأشياء.

ولكن.. أين ذهب العم فريد وابن العم أوزبورن؟ وما الذي أخاف الخيول لدرجة موتهم في اليوم التالي؟

تصارعت الأفكار داخل عقلي مِرارًا وتكرارًا، تلاحق الواحدة الأخرى، لكن كُل ما أيقنته هو حتمية خروجنا من هذا المكان قبل حلول ليلة الهالوُوين، سيأتي كابتن بريتشيت ظهيرة الخميس والهالوُوين في مساء نفس اليوم..

يجب أن نهربُ معه من ذلك المكان المُرعب.

قبل اليوم الموعود جهزتُ حاجيات العمة لوسي وأخلدتُها للنوم، كان كل شيءٍ هادئًا ولأول مرة مُنذُ فترةٍ طويلة، فشعرتُ ببعض السلام النفسي، فيما عدا ذلك الكابوس؛ حلمتُ بمجموعة من الرجال يدخلون من نافذة غُرفة نوم العمة لوسي، ثم أمسكوا بها واختطفوها ثم اختفوا في ظلام الليل بالخارج.. لم يحتاجوا مصابيحًا للرؤية لأن أعيُنهم كانت مُضاءة كعيونِ القطط، أفزعني ذلك الكابوس لدرجة أنني قُمتُ أصرُخُ في فزع، ووجدت الوقت يقترب من الفجر، نزلتُ من غرفتي مرورًا ببهو المنزل ودخلت غرفة العمة لوسي، لأجدها قد اختفت بالفعل!

النافذة مفتوحها على مصراعيها بالضبط كما حدث في الكابوس، بعض الأغطية مُمزقة ومُلقاة في كل مكان، الأرض بالخارج جافة وصلبة فلم أتمكن من رؤية أيةُ آثارٍ لأقدام..

بكيت، وأعتقد أنني بكيتُ بحُرقة، خرجت وأنا أنادي صارخًا: "عمتي لوسي!"، ولا أتوقع أن يُجيبني أحد، هرولت نحو الحظيرة لأجد بوابتها مفتوحة، واختفت الأبقار بدورها، لفت انتباهي آثارُ أقدامٍ أمام المزرعة مُمتدة إلى الطريق، ولكني لم أجرؤ على تتبُع نهايتهم.

بعدها بوقتٍ قصيرٍ مررت بجوار البئر الجديدة، وبكيت بدهشة وصدمة، لأن مياهها كانت خضراء ولزجة بالضبط كما كانت البئر القديمة، أيقنت بعد كل هذا أنني على حق؛ الـ(هؤلاء) جاءوا في ظلام الليل ولم يكُن مجيئهم في الخفاء، وكأنهم قد سأموا الاختباء.. بل وكأنهم.. جاءوا لمهمة مُحددة.

اليوم هو ميعاد ليلة الهالوُوين، يجب أن أهرُب من هنا، إن كان الـ(هؤلاء) يتربصون بي فلا يجب أن أعتمد على ظهور كابتن بريتشيت في الظهيرة، لدي فرصة لأمشي على طول الطريق وصولًا للبلدة والأجواء لا زالت مُشمسة.

بحثتُ في الأرجاء، ووجدت الخطاب المُرسل إلي العم فريد في دُرج مكتبه من ابن العم أوزبورن مكتوب عليه عنوان سكن الأخير في كينجزبورت، سأذهب إلى هناك بعد أن أُخبر الجميع في البلدة عما حدث، وسأجد بالتأكيد بعض الأقارب هُناك، تساءلتُ إذا ما كانوا سيصدقونني حين أخبرهم عن كيفية اختفاء العمة لوسي والعم فريد، وسرقة الـ(هؤلاء) للماشية واستخدامها في التضحية، وعن السائل اللزج الأخضر في البئر التي مُنعنا من الشُرب منها،

تساءلتُ إذا ما كانوا على دراية بأصوات الطبول والأضواء على قمم التلال، وإذا ما كانوا سيجمعون العديد من الناس ويقتحمون الغابة للإمساك بال"(هؤلاء)، تساءلتُ عما إذا كانوا يعرفون ما هو الشوجوث من الأساس.

حسنًا، إن كانوا يعلمونَ أم لا، يجب عليّ مُغادرة المكان ومواجهة ما سيحدث بمفردي، لذلك وضعت حاجياتي في الحقيبة واستعددتُ للرحيل.. الوقت قارب على الظهيرة والأجواء هادئة، توجهت للباب وخرجت دون تحمل عبئ غلقه من الأساس، ولماذا أفعلُ وأقرب شخص من هُنا يبعُد أميالًا عدة عني؟

سمعت أصوات ضوضاء قادمة من أخر الطريق؛ أصوات أقدامِ شخصٍ قادم من خلف المُنعطف، وقفت ساكنًا لدقيقة، أنتظر لأرى ماهيته، أنتظرُ لأركض هاربًا، ثم ظهر؛ كان رفيعًا وطويلًا، بدت ملامحه كالعم فريد لكن أصغر سنًا وبدون لحية، يرتدي حُلة أنيقة صُنعت في المدينة وقبعة لينة سهلة الطي، ابتسم حين رآني وتقدم تجاهي، كما لو أنه يعلم من أنا.

- أهلًا، ويلي.

قالها بسعادة فلم أجد كلمات لأُجيبه، كُنت مشوشًا جدًا فأكمل قائلًا:

- ألا تدري من أنا؟ أنا ابن العم أوزبورن، ابن عمك، فرانك.

ومد يده ليصافحني:

- أنت لا تتذكرني، أليس كذلك؟ أخر مرة رأيتك فيها كُنت طفلاً رضيعًا.

سألته في حيرة:

- ولكن من المُفترض أن تصل الأسبوع الماضي، توقعنا مجيئك في الخامس والعشرين.

- ألم تتلقوا التليغراف؟

سألني ثم أكمل قائلًا:

- كُنتُ مشغولًا للغاية.

هززتُ رأسي وقلت له:

- لا يصل البريد إلينا إلا يوم الخميس، ربما وصلت في المحطة.

ابتسم ابن العم أوزبورن وقال:

- أنت محظوظ لعدم اضطرارك لقطع المسافة الصعبة، لا أحد في المحطة اليوم، توقعت أن يصحبني فريد بالعربة كيلا أضطر للمشي كُل تلك المسافة، ولكن لا حظ لي في ذلك.

سألته مُتعجبًا:

- هل مشيت كل تلك المسافة؟

- بالضبط.

- وهل سافرت بالقطار؟

فهز رأسه موافقًا إياي، فسألته:

- ولكن، أين حقيبة سفرك؟

- تركتها في أمانات المحطة، سأطلب من فريد أن يصحبني بالعربة لنُحضرها.

ثم لاحظ وجود حقيبتي معي فسألني:

- انتظر دقيقة، إلى أين أنت ذاهب بحقيبتك يا بُني؟

هنا لم أجد أي مفر سوى أن أخبره بكُل ما حدث، دعوته ليدخل المنزل ويستريح، أعددتُ له القهوة وبعض الشطائر، ثم أخبرته بكل شيء عن العم فريد وذهابه للمحطة لإحضاره، وعدم عودته مرة أخرى، أخبرته عن الخيول وما حدث للعمة لوسي، لم أخبره عن قصة الغابة وما حدث لي، ولم أذكر كلمة واحدة عن الـ(هؤلاء)، لكني أخبرته أنني خائف بشدة، وبقراري أن أذهب سيرًا للبلدة قبل حلول الليل، ظل ابن العم أوزبورن يستمع لي دون مُقاطعتي، فقط كان يهز رأسه في صمتٍ بين الحين والأخر، ثم ختمت كلماتي قائلًا:

- الآن تفهم لما يجب علينا الرحيل، لا بد أن الشيء الذي اختطفهم سيعود من أجلنا الليلة.

فوقف ابن العم أوزبورن وقال:

- ربما تكون مُحقًا، ولكن لا تدع مُخيلتك تتلاعب بك يا بني، حاول أن تفرق بين الواقع والخيال، لقد اختفيا، هذا واقع، لكن كُل تلك الترهات التي قلتها عن الشيء المُختبئ في أعماق الغابة هي مُجرد خيالات، تُذكرني بتلك القصص التي سمعتها في المدينة التي عشتُ بها؛ أركام، لابد أن تلك الخرافات تنتشر في أرجاء البلاد مع إقتراب الهالوُوين في كل سنة. دعني أقُص عليك شيئًا، حين غادرتُ الـ..

قاطعته بسرعة:

- عُذرًا، ألا تعيش في كينجزبورت؟

- نعم، ولكني قضيت مدة في أركام، وأعلم أيضًا الكثير عن الناس ها هُنا، أنا لا أتعجب أبدًا من حجم خوفك من الغابة وتخيلك لتلك الأشياء، ومع ذلك، أحترم جدًا مدى شجاعتك بالنسبةِ لصغر سنك، لقد تصرفت بمُنتهى العقلانية.

- إذًا، يجب أن نبدأ في التحرُك الآن، الساعة أوشكت على الثانية ظهراً ويجب أن نصل للبلدة قبل المغيب.

- ليس بعد يا بُني، لا أشعر أننا يجب أن نرحل الآن بدون أن نبحث لنكتشف أي شيء عن ذلك اللغز، ويجب أن تفهم أننا لا نستطيع أن نُخبر مأمور الشرطة بتلك القصة غير العقلانية عن كائناتٍ تسكُن الغابة اختطفت فريد ولوسي، ذوي التفكير العقلاني لن يُصدقوا أشياء كتلك، سيظنون أننا نكذب وسيسخرون منا وربما يظنون

أنك السبب وراء اختفاءهما من الأساس!

فتوسلت إليه:

- أرجوك، يجب أن نترك المكان على الفور.

هز رأسه مُشيرًا لرفض ما أطلبه، لم أقل أي شيء بعد ذلك، كُنت سأُخبره بكل شيء، ما سمعته ورأيته وحلمت به، لكن بدا لي ذلك بلا فائدة، أنا نادمٌ بالفعل على ما حكيته له، لم يجب أن أخبره بأي شيء.

تمكن الخوف مني مرة أخرى، أولًا قال أنه عاش في أركام، وبعد ذلك واجهته بموضوع كينجزبورت فشابت إجابته الشكوك.. أعتقد أنه كذب عليّ، ثم كيف له أن يذكر خوفي من الغابة؟ أنا لم أقل له أي شيء عن ذلك، إن كنتم تريدون معرفة ما اعتقدته، فهو أن هذا الرجل ليس بابن العم أوزبورن.

ولكن، إن كان شخصًا أخر.. فمن هو؟!

توجهت إلى باب المنزل، فسألني:

- إلى أين أنت ذاهب؟

- إلى الخارج.

فنهض من مجلسه وقال:

- سأذهب معك.

هكذا يتضح كل شيء، هو هنا بالتأكيد لمُراقبتي ولن

يسمح لي بالابتعاد عن نظره، اقترب مني وأمسك بذراعي بشكل ودود للغاية، ولكني لم أُفلح في التحرر من قبضته، لقد هو تعلق في ذراعي، لأنه يعلم بالتأكيد أنني سأحاول الهرب.

ماذا أفعل؟ وحيدٌ أنا مع ذلك الرجل في منزل يقبع وسط الغابة، والليل يقتربُ جالبًا معه عشية الهالوُوين، والـ(هؤلاء) ينتظرون اللحظة الحاسمة في الخارج، خرجنا سويًا، الشمس في بداية المغيب رغم أننا في وقت الظهيرة! الغيوم غطت الأشعة الذهبية والرياح تُحرك الأشجار لدرجة أن فروعها تمددت وكأنها تحاول منعي من التقدم في مسيرتي، أصوات ضوضاء خفية وكأن الأشجار تهمسُ بشيء ما عني، أحسست أن الرجُل الغريب ينظر إليهم ويستمع، ربما يفهم لغتهم، وربما يُصدرون له الأوامر، ثم ابتسمت، لأن نفس الشيء الذي لفت انتباهي قد لفت انتباههُ..

شخصٌ ما قادم على الطريق.

- كابتن بريتشيت.

قُلتها بسعادة وأنا أقفز في الهواء:

- رجلُ البريد قادم، يمكنه أن يصحبنا معه للبلدة بعربته.

- دعني أتحدثُ معه، لا تخبره أي شيء عما حدث للوسي وفريد كيلا ننبههُ، عد للمُنزل بسرعة الآن.. لا نريد منه أي مكائد، أليس كذلك؟

تعجبت وقُلت له:

- ولكن يا ابن العم أوزبورن، يجب أن نخبره بالحقيقة كاملةً.

- بالطبع يا بُني، ولكن تلك المسألة تخُص البالغين، والآن عد إلى المنزل ولا تخرج قبلما أنادي عليك.

كان مُهذبًا جدًا في كلماته وابتسم لي أيضًا، ثم باغتني وسحبني مُمسكًا بذراعي بمُنتهى القوة إلى داخل المنزل وأغلق الباب خلفي.

وقفت بمفردي في بهو المنزل المُظلم، مُستمعًا لعربة الكابتن پريتشيت وهي تُبطئ سرعتها، بعدها أصوات أقدام ابن العم أوزبورن يقترب منها ليبدأ الحديث مع الكابتن، سمعت الكثير من الهمهمة، أصواتهما كانت مُنخفضة للغاية، اختلستُ النظر من شقٍ صغير في الباب الخشبي ورأيتهما؛ پريتشيت يتحدث معه بود وكُل شيء على ما يُرام.

لأفاجأ بالكابتن يُمسك بزِمام الخيول، ويستعد للرحيل!

علمت وقتها ما يجب فعله مهما حدث من عواقب، فتحتُ الباب وركضتُ للخارج بحقيبتي وكُل شيءٍ يخصني، ركضتُ في الطريق مُتتبعًا العربة، حاول ابن العم أوزبورن الإمساك بي لكنني تفاديته وصرخت مناديًا:

- انتظرني يا كابتن، أنا قادم، خُذني معك للبلدة!

أبطأ الرجُل الخُطى وقال مُتعجبًا:

- ويلي! لقد عتقدتُ أنك رحلت، قال لي قريبك أنك ذهبت مع السيد فريد والسيدة لوسي.

قلتُ له بتوتر:

- لا تُصدق ما يقول، هو لا يُريدني أن أرحل، خذني معك إلى البلدة وسأُخبرك بكل ما حدث، أرجوك، خُذني معك يا كابتن.

فقال بحماس:

- بالطبع سآخذك معي، أصعد.

قفزت في العربة لأجد ابن العم أوزبورن يُسرع خلفنا وهو يصرخ بحدة:

- توقف عندك! أنت تحت وصايتي الآن وأرفض أن تُغادر.

فقلت للكابتن أتوسل إليه:

- لا تستمع إليه! خذني معك يا كابتن، أرجوك.

نظر لي الرجُل بغيظ وقال:

- حسنًا، إن كُنت مُصرًا على موقفك اللاعقلاني هذا فسآتي معك، لن تذهب بمفردك.

ثم ابتسم بودٍ خبيث وقال لكابتن پريتشيت:

- كما ترى، الطفل متوتر الأعصاب ولا أريده أن يزعجك بقصصه الخيالية التي سيرويها عليك طوال الطريق، المكان هنا أثر على عقله، سأشرح لك كُل شيء في طريقنا للبلدة.

وأشار بأصبعه إلى رأسه ليُشير إلى أنني لستُ بكامل قواي العقلية، ثم تقدم ووقف بجانب العربة، لم يبتسم له كابتن پريتشيت الذي قال له بحدة:

- كلا، الطفلُ على ما يرام، أنت لا تعرف شيئًا عن ويلي؛ فهو ولدٌ مُهذبٌ وخلوقٌ وشجاعٌ وعقله كبير، في الحقيقة أنا لا أثق في شخصك أنت ولا في صدق كلامك عن قرابتك له، يبدو أن كُل شيء يتضح لي، يكفي كذبك حين قُلت أنه رحل برفقة أقاربه يا سيد!

حاول الرجل أن يُبرر موقفه للكابتن فقال كاذبًا:

- لم أود أن أُزعجك بمشاكلنا، حاولت استدعاء الطبيب لأن الصبي غير مُتزن عقليًا.

بصق الكابتن مُضغة التبغ على قدم ابن العم أوزبورن وقال بتحدٍ:

- اللعنة على ماتقول، سنذهب شئت أم أبيت.

اختفت ابتسامة ابن العم أوزبورن ثم قال:

- إذًا، أنا أصر على الذهاب معكما.

ثم حاول أن يصعد إلى متن العربة فمد الكابتن يده داخل سترته وأخرج مسدسًا ضخمًا منها وصرخ:

- انزل حالًا! أنت تتحدث مع مُمثل لمكتب بريد الولايات المُتحدة، لا تضع نفسك في مشكلة معنا، هل تفهم؟ والآن ترجل من العربة وإلا أُقسم أن أُفجر رأسك وأبعثر دماغك في كل مكان.

ابتعد ابن العم أوزبورن عن العربة واشتعلت عيناه بنارٍ من حدة نظراتهما ونحنُ نبتعد عنه، وسمعناه يهتف بعلو صوته:

- أنت ترتكب خطأ كبيرًا يا ويلي.

لم أُعره انتباهًا، وشعرتُ بالارتياح لأول مرة مُنذ وقتٍ طويل، أسرعت بنا العربة وفي غضونِ دقائقٍ أصبحت المزرعة خارج نطاق رؤيتي، وضع الكابتن مسدسه في مكانه مرة أخرى ثم ربت على كتفي وقال:

- كفى توترًا، أنت الآن بأمان يا ويلي ولا تقلق بخصوص أي شيء، أمامنا أقل من ساعة حتى نصل للبلدة، استرح وقُص على الكابتن المُسِن كُل ما حدث.

أخبرته، قصصتُ عليه كُل شيء، اخترقنا الغابة ثم هبط علينا الظلام ليبتلع الغابة من كُلِ جانبٍ على الطريق قبل أن أشعر، وغرقت الشمس خلف التلال واهتزت الرياح وبدأت تهمس لبعضها البعض وللأشياء الغامضة التي شعرتُ بها وهى تتبعنا، تعالت أصوات ركض الأحصنة على الطريق وانضم لها أصوات ضوضاء أخرى قادمة من بعيد، ربما هو الرعد وربما يكون شيء آخر، لكن المؤكد هو

أننا لسنا وحدنا في ظلام تلك الليلة.. ليلة الهالوُوِين.

تقاطع الطريق في وسط التلال الآن، وتمكنا بالكاد من رؤية نهاية المُنعطف التالي.

- أعتقد أنها ستمطر، هل سمعت صوت الرعد؟

- طبول، طبول؟!

- ماذا؟!

- في الليل، يُمكنك أن تسمع أصواتها قادمة من التلال، سمعتهم طوال هذا الشهر، الـ(هؤلاء) يستعدون لطقوسهم المُظلمة.

نظر لي الرجُل المُسِن وقال:

- طُقوس مُظلمة؟! أين سمعت عن تلك الطقوس المُظلمة؟!

فأخبرته عما قرأت، بل أخبرته بكُل ما حدث، حتى ما أخفيته عن من أدعى أنه ابن العم أوزبورن، لم يقُل أي شيء، لم يجد ما يقوله ردًا على ما قُلت، صوت الرعد القوي يشغله، الأمطار هطلت بغزارة على العربة وعلى الطريق وفي كُل مكان، وفي ظلام الليل لا تسنح لنا فرصة الرؤية إلا حين كان يُضيء البرق لنا الأرجاء، حاولت أن أصرُخ لأُخبره عمن اختطف العم فريد، ومن جاءوا للعمة لوسي ليلًا، والكائنات التي اختطفت الماشية وأرسلوا شبيه ابن العم أوزبورن ليختطفني، حاولت إخباره عما

حدث لي في الغابة أيضًا، وفي ضياء البرق تسنى لي رؤية وجه كابتن پريتشيت؛ لم يكن مُبتسمًا ولا مُتجهم الوجه، ولكن بدا لي أنه يصدقني، فوجئت به يُمسك بمسدسه بيدٍ بينما الزمام في يده الأخرى رغم أننا نطير على الطريق من فرط سرعتنا، العربة القديمة تهتز وتتقافز، الأمطار مع الرياح كونتا كابوسًا رهيبًا حقيقيًا، صرخت في الرجُل قائلًا:

- شوجوث.

فأمسك بذراعي مُتسائلًا في غضب:

- ما هو الشوجوث بحق الجحيم؟!

ضرب البرق المكان فأصبحت الرؤية واضحة كفاية لأرى وجهه؛ كان فمه مفتوحًا ولكنه لم يكُن ينظر للطريق ولما ينتظرنا بالأمام، وكأن الأشجار تجمعت على جانبيّ الطريق قُرب المنعطف التالي، وبدت كما لو أنها تتحرك، حية تتمايل وتنثني وتتراقص وتمتد لتسد الطريق أمامنا، ومض البرق مرة أخرى فرأيناها بُصحبة شيءٍ أخر يقف في منتصف الطريق؛ كيانٌ أسود يُقرفص هُناك منتظرًا، ذو أذرعٍ طويلة تمتد في كُل اتجاه، وهو ليس بشجرة بكل تأكيد.

- شوجوث!

صرخ بها الكابتن فلم أسمعه كفايةً لأن الرعد غطى على صوت المُسن المذعورة، بينما صهلت الخيول وحاولت التوقف مما هدد بانقلاب على جانبها وسط الأرض

الطينية، ثم ركضت الخيول بخوفٍ أعمى تجاه ذلك الشيء الأسود، انتشرت رائحة بشعة في المكان فأشهر المُسِن مسدسه وأطلق رصاصة غطى صوتها العالي على صوت الرعد المُرعب، وغطى على الجميع صوت العربة وهى ترتطم بالشيطان الواقف أمامنا.

كُل شيء حدث مرة واحدة وفي نفس اللحظة؛ صوت الرعد، ووقوع الخيول، وطلقة الرصاص، وسقوطنا أرضًا فور تحطم العربة.

لابد أن الرجل المسكين لف الزمام حول ذراعه، لأن فور انقلاب العربة سُحب المُسِن بقوة جعلته يطير فوق مقدمة بقايا العربة تجاه الشيء الذي أمسك بالخيول وجذبها إليه، وسحب معه المسكين على الأرض الطينية.

شعرت بالظلام يبتلعني وبالحصى المُختلِط بالطين أسفلي، الرعد يصرخ وصوتٌ أخر سمعت مثله من قبل في الغابة يهمس بكلمات مألوفة لي، لذلك لم أنظر خلفي، لم أفكر هل أُصِبت أم لا بعد تلك السقطة، كُل ما فعلته هو الركض على الطريق وسط الظلام، بين العواصف وأصوات الأشجار المُهتزة المُرعبة التي تخيلتها تنظُرُ وتُشير إليّ بفروعها، وتضحك! ورغم صوت الرعد سمعت صرخات بشريٍ يتعذب، وصهيل خيول لم أفهم فحوى لغتها ولكنها تتألم بالتأكيد، ولم أنظر للخلف، البرق يقطع صفحة السماء، أركض وسط الأشجار لأن الطريق يُشكل خطراً أكبر علي نظراً لارتفاع مستوى الطين الذي كاد يبتلعني،

بعدها بدأت في الصراخ؛ صرخت بشدة ولم أتعرف على صوتي من شدة صوت الرعد، وما كان صوته أعلى وأقوى من أي شيء هو صوت الطبول، وبعد مُدة قصيرة أصبحت خارج الغابة بأكملها ووجدت نفسي في منطقة التلال، ركضتُ بأقصى سرعتي والرؤية أصبحت أوضح، ليس بفعل البرق فقط ولكن بسبب النيران المُشتعلة فوق التلال، وأصوات قرع الطبول تعلو وتعلو.

تُهتُ في مَحفلٍ جنوني من الضوضاء؛ الرياحُ تصيح والطبول تُقرع، الرعد يضرب والأشجار تسخر مني، ثم توقفت عن الركض، أصبحت النيران واضحة أمامي؛ نيران حمراء وخضراء تتوهج بقوة لتعلن انتصارها على تلك الأمطار العنيفة.

رأيت صخرة بيضاء كبيرة في مُنتصفِ أرضٍ فضاءٍ على قمة التل، النيرانُ الحمراء والخضراء تشتعل من خلفها فيتضح كُلُ شيءٍ أمام تلك النيران المستعرة، يلتف رجالٌ ذوي لُحى رمادية كبيرة ووجوه مجعدة حول المذبح الأبيض، يرمون أشياءً كريهة الرائحة في النيران فتتوهج باللونين الأحمر والأخضر، ويحملون خناجر في أياديهم، استطعت سماعهم يعوون رغم صوت العواصف، وفي الخلف يجلس رجالٌ في وضع القرفصاء ويقرعون الطبول بلا توقف.

بعد قليل جاء رجالٌ أخرون يسحبون بقرة تجاه المذبح، تعرفت عليها فورًا فهي إحدى الحيوانات المسروقة، وبخناجرهم الكبيرة شقوا عنقها مُضحين بها على المذبح،

كُل هذا تمكنت من رؤيته ةسط ومضات البرق ولهيب النيران، بينما أنا شبه راقدٍ أرضًا كي لا يراني أحدهم، ولكن سُرعان ما أصبحت الرؤية ضبابية لأنهم رموا مادةً غريبةً في النيران جعلتها تُخرِج دُخانًا أسود كثيف، وعندما خرج ذلك الدخان بدأ الرجال في الصلاة والترنم بصوتٍ عال، لم أسمع أي كلمات، ولكن الصوت كان مماثلًا لما سمعته في الغابة ذلك اليوم، لم تكُن الرؤية جيدة أيضًا ولكني توقعت ما سيحدث تاليًا، ذهب الرجال مرة أخرى للجانب الأخر من التل وعادوا بأضاحي جديدة، منعني الدخان من الرؤية بشكل جيد كما قلت ولكني أدركت أن ما كان بحوزتهم هي أضاحي تمشي على قدمين وليست أربعة أقدام!

لم أتحمل رؤية ما سيحدث، دفنت وجهى بين يدي ونظرت للأسفل إذ يتوجهون مع الأضاحي نحو المذبح، ويُعدون الخناجر، علت بعدها أصوات الطبول وتوهجت النيران، وعلت أصوات الصلاة والترنُم، ونادوا على شيء ما ينتظر على الجانب الأخر من التل، بدأت الأرض تهتز، وعصف الجنون بالجو، أقق وسط أصواتٍ وترانيم ورعدٍ وبرقٍ ودخانٍ وهتافٍ باسمٍ شيءٍ ما، والخوف يفتك بي فتكًا، تعالت الأصوات بالنداء وارتجفت من شدة بلوغ أقصى ما عندهم، حتى استجاب المُنادى.. وظهر الشيء!

جاء زاحفًا من أعلى جانبٍ في التل حتى وصل للمذبح والأُضحية، شيء أسود كالذي رأيته في كوابيسي؛ لزج

ورغوي ويُشبه شجيرات الغابة، زحف بسرعة وهو يطفو على أفواه وحوافر وأذرع ثعبانية تتدلى منه، انحنى له جميع الرجال بينما يصرُخ من هم على المذبح من شدة الفزع، انحنى الكيان الأسود فوق المذبح وتصاعدت منه أصوات طنينٍ اختلطت بصُراخ الأضحية، رأيت الكيانُ الأسود ينتفخ وينمو، لم أتحمل أكثر من ذلك، ولم أهتم بما سيحدث، يجب أن أهرب، يجب أن أركُض بأقصى ما في وسعي، ركضتُ وصرخت غير مُبالٍ بمن قد يسمعني.

استمررت بالركض والصراخ بلا هوادة، عبر الغابة والعاصفة، مُبتعدًا عن ذلك التل والمذبح، وفي لحظاتٍ أدركت أين انتهى بي الركضُ.

أنا في المزرعة مرة أخرى.

ركضتُ هربًا من وإلى نفس المكان، لم أستطع تحمل العاصفة والليل وتلك الأحداث الجنونية لذلك ركضتُ إلى الداخل وأغلقتُ الباب، واستلقيت على الأرض مُجهدًا غارقًا في عرقي ودموعي.

ثم استجمعت ما تبقى من قوتي المُستنزفة، وجلبت مطرقة ومجموعة مسامير، وبعض الألواح الخشبية التي لم يستخدمها العم فريد، وغطيت الباب والنوافذ بها، استغرقت عدة ساعات جلبت عليّ أضعاف الإجهاد الذي لم أكد أرتاح من آثاره، ساعاتٌ جعلتني بعدما انتهيت أستلقي على الأريكة وأغُط في نومٍ عميق.

استيقظت بعد ساعاتٍ بسبب أشعة الشمس المُخترقة للفروق بين الألواح، ويبدو أنها فترة ما بعد الظهيرة، ورغم كُل هذا الوقت لم يقتحم أحدهم المنزل، فكرتُ في إكمال مسيرتي المُخطط لها والمشي إلى البلدة مُستغلًا طلوع الشمس، ولكن قبل أن أنتزع المسامير من الباب سمعت صوت ابن العم أوزبورن أو من ادعى أنه هو، اخترق مُحيط المنزل من الخارج، وصرخ باسمي، لم أُجبه فحاول أن يقتحم الباب أو النوافذ، سمعته يسُب ويلعن وبدأ يغمغم، فتوترت حد الموت؛ من الواضح أنه ليس بمفرده، اختلست النظر عبر شقوق الباب، ولكنه كان قد تحرك بالفعل إلى الفناء الخلفي للمنزل فلم أره، ارتحتُ لحظيًا من تلك الفكرة البائسة لأنني لا أريد أن أستمع للمزيد؛ الرائحة القذرة التي أصبحت كابوسي الحي تنتشر؛ رائحة المادة الخضراء اللزجة من الغابة والبئر القديمة، سمعتهم يقفون عند البئر القديمة في الخلف وسمعت الشبيه يقول:

- انتظروا حتى المساء، يُمكننا استخدام البئر إذا وجدنا البوابة، ابحثوا عن البوابة.

فهمت ما يقوله؛ البئر مدخل لمكان يقبع في باطن الأرض حيث يعيش الكهنة، والكيان الأسود.

أكتبُ مُنذ عدة ساعاتٍ الآن، وقت الظهيرة في طور انتهائه، نظرت عبر الشقوق لأجد الليل يوشك على فرض سيطرته، حل وقتهم، سيأتون ليلًا كما خططوا.

سيكسرون الباب والنوافذ مُخترقين المكان للإمساك بي، سيأخذونني أسفل البئر، في أكثر الأماكن ظُلمة حيثُ تعيش كائنات الشوجوث، لابد أن هُناك عالمًا كاملًا أسفل تلك التلال، مكان يختبئون به مُنتظرين الفرصة المناسبة للإمساك بالمزيد من الأضاحي والمزيد من الدماء المُراق، هم لا يريدون أي بشريين في الجوار سوى من أجل التضحية.

لقد رأيت ما فعل ذلك الكيان الأسود بالرجُل الصارخ على المذبح، ستكون تلك نهايتي أنا أيضًا، ربما يُرسل أحدهم شخصًا ما ليبحث عن ابن العم أوزبورن الحقيقي، ربما سيهُب أحدهم من البلدة للبحث عن كابتن بريتشيت، ربما سيبحث أحدهم عني، ولكن إن لم يحدُثُ ذلك قريبًا، سأكون قد انتهيت.

لهذا كتبت تلك الكلمات، وهى حقيقية، أقسم لكم، كُل كلمة كتبتها هي الحق، أتوسل لمن يجد تلك المُذكرة أن يبحث جيدًا في البئر القديمة خلف المنزل، تذكروا ما كتبت عن الـ"هؤلاء"، أغلقوا تلك البئر ونظفوا تلك المستنقعات، لا تُجهدوا أنفسكم في البحث عني، فوقتها لن أكُن هُنا على الإطلاق.

تمنيتُ ألا أكون خائفًا، ليس بسبب ما سيؤول إليه مصيري، ولكني خائف على الضحايا الأخرين الذين قد يأتون للإقامة في المكان هُنا، لتحدُث لهم نفس الأشياء، بل وأسوأ، وإلى المُشككين في كلامي، اذهبوا للغابة لو

لم تذهبوا من قبل، وإلى التلال، وإلى حيث توجد صخرة المذبح، ربما اختفت آثار الدماء بفعل مياه، ربما هم مُتمكنون من إخفاء أي آثار لهم، ولكنكم ستجدون الصخرة، وستعلمون أنني على حق، ستجدون علامات مُستديرة على تلك الصخرة، وهي علامات كبيرة بقطر يقترب من القدمين، لم أخبركم بهذا من قبل.

واحذروا الشوجوث؛ الكيان الأسود المتورم الذي ينمو بلا توقف، لتتغير هيئته لأشكالٍ أخرى، قد تخدعكم بأنها شخص تعرفونه، مهما وصفت لكم كيف كان شكله فلن تستطيعوا تخيل ما رأيته، ابحثوا جيدًا عمن يسكن باطن الأرض تحت التلال، ليزحف ويخرج ليتغذى على ضحية جديدة.

إنهم هُنا، يدنو الوقت من الغسق، أستطيع سماع أصوات خطواتهم، أصوات بشرية وأخرى.. غير بشرية!

إنهم يحاولون كسر الباب، بالتأكيد يحملون جذع شجرة لمُساعدتهم، المكان كُله يهتز، أستطيع سماع صوت شبيه ابن العم أوزبورن وهو يصرخ، الرائحة بشعة تُصيبني بالإعياء. ابحثوا عن المذبح بحق الجحيم وستفهمون قصتي وما حاولت كتابته، ابحثوا عن العلامات المُستديرة الكبيرة، ابحثوا عن العلامات لتعلموا ما رأيت وما أخافني وما ينتظر الفرصة المناسبة ليخرج ويلتهم الجميع ما لم تُغلقوا تلك البوابة اللعينة للأبد!

علامات سوداء مُستديرة، لكنها ليست علامات.. إنها آثار أقدام..

البابُ ينكسر، يا إلـــهـ..!

عن الطفل والمُفكرة والشوجوث

يواجه الصغير كائن الشوجوث، من شاهد منكم مسلسل ريف لافكرافت المُذاع على قناة HBO ومن بطولة جوناثان مايرز، الشوجوث هنا مخلوق لافكرافتي يُغير من شكله ليخدع ضحاياه، وصفه الصغير بأنه يبدو كجذع شجرة، ذراعيه كالفروع المُتدلية على الأرض، يُحاول الشوجوث التلاعب بعقل الصغير بعدما تحوله إلى هيئة قريبه وحاول إقناعه بالقدوم معه للبلدة بحثًا عن زوج عمته لوسي، ووفقًا للأساطير قام القدامى بخلق كائناتٍ تخدمتهم والشوجوث من بينهم، ثم ثارت تلك الكائنات على أسيادها لتستقل بذاتها، سكن بعضهم الجليد، بينما اختبئ أخرون في الغابات ليوقعوا بالضحايا التائهين، وفي بعض القصص شيدت كائنات الشوجوث مُدنهم الخاصة مُستغلين مهاراتهم في تعاليم أجدادهم القدامى- راجع في ذلك رواية (في جبال الجنون) للافكرافت، وقد تُرجمت عدة مرات إلى العربية أخرهم على يد د. علي مُغنم- وقد خُلقوا في الأصل ليخدموا تحت المياه ثم تحوروا بعد ذلك ليتمكنوا من التأقلم في بيئات مختلفة، مما أدى لبقاء تلك الكائنات على قيد الحياة في العصر الحديث.

تُذكرنا القصة وطريقة سردها بقصة The White People للكاتب أرثر ماكِن والتي ترجمها د. أحمد تركي إلى العربية بعنوان الوجوه البيضاء، وفيها تكتب فتاة صغيرة يتيمة الأم تجربتها مع طائفة قديمة من السحرة والوثنيين

بأسلوبٍ طفولي حالم؛ هناك غابة وكوابيس وسيرٍ طويل ومقاطع شعرية ومُمارسات غريبة وعبادة أصنام كما أنها تموت في النهاية، قصة ماكِن تميل إلى المغزى التربوي أكثر إذ يوكل الأب مُهمة رعاية الطفلة إلى مُربية نكتشف أنها ساحرة، لكن قصتنا هنا تميل إلى الرعب الخوارقي والنفسي أكثر كما أن من أُوكل إليهم رعاية الطفل وقعوا ضحايا للطائفة الوثنية هنا.

تلك الكائنات مُخادعة بشكل كبير، ستجعلك تصدق مشاعرها المزيفة، وستقرر أن تنصاع لرغباتها الخفية إلا إذا كنت تملك بعض الذكاء الذي سيحول بينك وبين افتراسك حيًا..

ولكن مهلًا.. الصغير المُرتعد في قصتنا كان ذكيًا، فماذا حدث له؟

عن المُترجمين..

د. أحمد تركي

صيدلي وروائي وكاتب ومترجم، وُلد بمحافظة الإسكندرية عام 1990، نشر مجموعة من الأعمال الورقية والالكترونية منها:

- (شقوق الفزع): الرواية الفائزة بجائزة النشر في دار إبداع للنشر والتوزيع، صدرت في يناير 2019.

- (الظل خارج الزمان): وهي ترجمة لرواية The Shadow out of Time للكاتب الأمريكي هوارد فيليبس لافكرافت، بالاشتراك مع عمار المصري، صدرت عن دار دارك للنشر والتوزيع-ديسمبر 2019.

- (الوجوه البيضاء): وهي ترجمة لرواية The White People للكاتب الأيرلندي أرثر ماكِن، صدرت عن دار دارك للنشر والتوزيع-يونيو 2021.

- (بيت على الحدود): وهي ترجمة لرواية The House on the Borderlands للكاتب الإنجليزي ويليام هوب هودسن، صدرت عن دار منشورات ابييدي للنشر والتوزيع-يناير 2022، وهي من الأكثر مبيعًا في جناح الدار في معرض القاهرة الدول للكتاب 2022.

- (فارس الحق): الجزء الأول من سلسلة روايات ملاحم فارس الحق، صدرت عن دار إبهار للنشر

والتوزيع-يونيو 2021.

- (سماء هادئة): مجموعة قصصية مترجمة مُجمعة من موقع Creepypasta وReddit، صدرت عن دار يوريكا للنشر والتوزيع-يونيو 2021.

- كتاب سوّق بالمحتوى عن دار يوريكا للنشر والتوزيع-أغسطس 2022.

الإصدارات الإلكترونية:

- (قصتي مع جلجامش): كتاب يبحث في تاريخ الملحمة السومرية-سبتمبر 2019.

- (ديمو-الأعمال الإكترونية الكاملة لعام 2020): وهي مجموعة من القصص المؤلفة والمترجمة لمؤلفين كبار أمثال نيل جايمان ولافكرافت وتيري بايسون وأثر سي كلارك.

- (سماءهادئة: الموسم الأول): وهي مجموعة قصصية مُترجمة، نُشرت على حلقات في شهري ديسمبر 2020 ويناير 2021.

- ترجمة قصة حديقة الحيوانات الورقية لكين ليو، منشورة في موقع كتب مملة.

- ترجمة قصة جهاد فوق مدينة اينزماوث لإدوارد موريس، منشورة على موقع جريدة يوريكا.

- ترجمة قصة التاجر وبوابة الخيميائي لتيد شيانغ، منشورة على البروفايل الشخصي.

- ترجمة كورس العادات الخمسة عشر للكتّاب العظماء لجيف جوينز.

- ترجمة العديد من قصص الرعب والخيال العلمي والفانتازيا، وبعض المقالات ضمن مبادرات حث المؤلفين الشباب على إنهاء كتابة ونشر أعمالهم.

حلمي مطر

روائي وكاتب ومترجم، وُلد بمحافظة الإسكندرية في 1989، بدأ الكتاب والترجمة منذ الخامسة عشر من عمره، صدر له:

- مجموعة قصصية بعنوان "حكايات الظلال" عن مركز إنسان للنشر والتوزيع.

- نوفيلا بعنوان "بيات شتوي" عن مركز إنسان للدراسات والنشر والتوزيع.

- فائز بجائزة "ومضة" ضمن أفضل قصص الميكروفيكشن المكونة من خمسة وعشرين كلمة، في مجال الرعب، يصدر الكتاب عن دار كتوبيا للنشر والتوزيع.

- تعاقد على نشر سلسلة روايات للجيب، يصدُر أول عدد منها في معرض القاهرة للكتاب 2023 عن دار الواحة للنشر والتوزيع.

- تعاقد مع دار "ن" للنشر والتوزيع لنشر روايته في معرض القاهرة للكتاب 2023.

- كتب وترجم العديد من القصص على حسابه على فيسبوك باسم Helmy matar والصفحة الرسمية حكايات الظلال.

Notes

[←1]

الديميورغوس أو خالق الكون المادي هو مُصطلح يُستعمل في الفلسفة وبخاصة الفلسفات الغنوصية والروحية، ويدل على إحدي قدرات الرب الأعظم في خلق الكون المادي.، ففي الأفلاطونية ومدارس الشك الفلسفية يُعتبر هو المسؤول عن تشكيل والحفاظ على الكون المادي، ورغم اتصاف بالتصميم إلا أنه ليس الخالق نفسه بالضرورة وبالمفهوم المُتبع في الديانات التوحيدية، لأن الديميورغوس نفسه يتكون من المواد التي يستعملها في تشكيل الكون، وبحسب النظام الذي يشرح وجودها فإنها قد تُعتبر غير مخلوقة وأبدية، أو تُعتبر من إنتاج كائن آخر. - بتصرف من ويكيبيديا